سيدات القصور ودورهن في الحياة العامة في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٦٢-٥٦٧هـ/٩٧٢-١١٧١م)

نهلة أحمد عبد الباقي* وعليان عبد الفتاح الجالودي**

ملخـص

تمتعت سيدات القصور الفاطميات بمكانة مرموقة في المجتمع المصري خلال العصر الفاطمي، ويبرز من بينهن سيدات أسهمن بدور مهم في الحياة السياسية والعامة، وترك هذا الدور آثاراً إيجابية وأخرى سلبية على تطور مجريات الأحداث، وشكل منعطفاً مهماً في تطور الدولة الفاطمية، ويمكن الإشارة على نحو خاص إلى دور سيدتين من تلك السيدات، هما: ست الملك شقيقة الخليفة الحاكم بأمر ا ، والسيدة رصد والدة الخليفة المستنصر با . وتهدف الدراسة إلى تسليط الضوء إلى دور كلٍ منهما، وتقييم هذا الدور وأثره في الدولة، كما تهدف إلى تقييم دور غيرهما من السيدات الفاطميات خلال العصرين: الفاطمي الأول والثاني. وخلصت الدراسة إلى أن دور النساء كان يظهر بشكل جلي وواضح خلال فترات القلق والضعف والفوضى السياسية، ومنهن من أسهمن إيجاباً في حماية الدولة من الأخطار المحدقة بها، كدور ست الملك، وعلى النقيض من ذلك كان تدخل السيدة رصد عاملاً من عوامل ضعف الدولة وتراجعها والتعجيل بانهيارها لاحقاً.

الكلمات الدالة: الدولة الفاطمية، سيدات القصور، ست الملك، السيدة رصد، الحاكم بأمر ا ، المستنصر با .

المقدمة***

تمتعت السيدات اللواتي ينتمين للأسرة الفاطمية بمكانة مرموقة في المجتمع خلال العصر الفاطمي سواء كن أمهات، أو شقيقات، أو زوجات للخلفاء، ومارسن دوراً مهماً في الحياة العامة، وترك بعضهن بصمات واضحة في تطور الأحداث في عصرهن، ناهيك عن مساهمتهن في جوانب الحياة الأخرى.

ويبرز في هذا المقام دور السيدة ست الملك شقيقة الخليفة الحاكم بأمر ا ، والسيدة رصد والدة الخليفة المستنصر با ، إلى جانب أدوار أخرى أقل أهمية لسيدات العصر الفاطمي الثاني. وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على تفاصيل هذا الدور، واستقراء النتائج التي ترتبت على تدخلهن بشؤون الدولة، وهي قراءة تستند على ما توفر من إشارات في المصادر الأولية، وهي إشارات قليلة نوعاً ما، إلاّ أنها تمكّن الباحث من تكوين صورة عن أدوارهن، وتقييم آثار تدخلهن في

* جامعة النيل الأزرق، السودان. ** قسم التاريخ، جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية.

***هذه الدراسة مستوحاة من رسالة ماجستير أعدتها الباحثة نهلة احمد عبد الباقي، تحت إشراف الدكتور عليان الجالودي، بعنوان: "دور المرأة في مصر خلال العصر الفاطمي"، قسم التاريخ، جامعة آل البيت، ٢٠١٠م.

تاريخ استلام البحث ٢٠١٢/٣/٢١م، وتاريخ قبوله للنشر ٢٠١٣/٥/٢٦م.

الشؤون السياسية والعامة.

وأفادت الدراسة من جملة من المصادر الأولية في مقدمتها أخبار مصر للمسبحي (ت ٤٢٠هـ/١٠٢٦م) بما حواه من إشارات مهمة عن دور ست الملك في عهد شقيقها الخليفة الحاكم بأمر ا (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٠٢م)، ودورها في إرساء قواعد البيعة لولده الخليفة الظاهر لإعزاز دين ا (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م) وترتيب أوضاع الدولة في السنوات الأولى من خلافته[١]. وكتاب أخبار مصر لابن المأمون البطائحي (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م). وهو من بين المصادر المهمة بما حواه من معلومات حول نظم الدولة الفاطمية ورسومها، ووصفه لجانب مهم من حياة النساء في القصور، وما يوزع على نساء الخاصة من كسوه[٢].

ويحوي كتاب "كنز الدرر وجامع الغرر" في جزئه الخامس المعروف "بالدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية" لابن أيبك الدواداري (ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م) مادة مهمة تتصل بدور النساء الفاطميات خصوصاً ست الملك التي وصفها "بأنها سيدة ذات أدب وخلق ودين"، في محاولة لإنصافها وتبرءتها من التهم التي ألصقها بها بعض المؤرخين[٣].

وأمدنا كتاب "اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا" لتقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) بمادة ثرة عن تاريخ الدولة الفاطمية عامة. ودور النساء خاصة، وتكمن أهمية كتابه هذا إلى جانب أنه من أشمل الكتب التي تناولت تاريخ الدولة الفاطمية، فقد حفظ لنا نصوصاً من كتب مفقودة لم تصل إلينا لسبب أو لآخر، مثل: مؤلفات ابن المأمون البطائحي، وابن ميسر والمسبحي، وتضمن كتابه إشارات في غاية الأهمية عن دور سيدات القصور وتدخلهن في شؤون الدولة[٤].

وأفادت الدراسة من عدد من المصادر الأخرى، في مقدمتها المادة الوثائقية التي تضمنتها السجلات المستنصرية التي احتوت على عدد من السجلات الصادرة عن الخليفة المستنصر با (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) بخاصة المراسلات التي تعود إلى سيدات العصر الفاطمي

١. المسبحي، عز الملك محمد بن أحمد (ت ٤٢٠هـ/١٠٢٩م)، نصوص من أخبار مصر، اعتنى بجمعها أيمن فؤاد سيد، حوليات إسلامية، المجلد ١٧، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ط١، ١٩٨١م. وسيشار إليه عند وروده فيما بعد. المسبحي، أخبار مصر.

٢. ابن المأمون البطائحي، جمال الدين أبو علي موسى (ت ٥٨٨هـ/١١٩٢م)، نصوص من أخبار مصر. جمع وتحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، طبعة١، ١٩٨٣م، ص٣٥. وسيشار إليه عند وروده فيما بعد ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر.

٣. ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد ا (ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م). الدرر المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، ط١، ١٩٦١م، ص٣٠٠. وسيشار إليه عند وروده فيما بعد: ابن أيبك الدواداري، الدرر المضية.

٤. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م). اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء. ٣ج، ج١، تحقيق: جمال الدين الشيال، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٦م، ج٢، وج٣، تحقيق: محمد حلمي أحمد، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٦م. ج١، ص١٤. ج٢، ص٨، ١١٥. ج٣، ص٣٢٩. وسيشار إليه عند وروده فيما بعد: المقريزي: اتعاظ الحنفا.

الثاني، وما تضمنته هذه المراسلات من دور سياسي، وما تلقبن به من ألقاب[5].
وأفادت الدراسة من عدد من الدراسات الحديثة التي تناولت دور المرأة في العصر الفاطمي[٦].

تمهيد:

نشأت الدولة الفاطمية التي تنتمي للمذهب الشيعي الإسماعيلي في أفريقية في ربيع الآخر سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م إثر دعاية واسعة بين قبائل كتامة البربرية مستغلة الأوضاع السياسية المضطربة التي سادت في المغرب آنذاك، وتمثلت بنجاح عدد من القوى المناوئة للخلافة العباسية في تثبيت دعائم وجودها هناك؛ إذ نجح عبد الرحمن بن معاوية بن هشام في إحياء الحكم الأموي في الأندلس سنة ١٣٨هـ، بعد سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م على يد العباسيين في المشرق وخطب لهم بالخلافة لاحقاً سنة ٣١٥هـ، وانفصل المغرب الأقصى واستقل به بنو مدرار الخوارج الصفرية (١٥٥-٣٦٦هـ/٧٧٢-٩٧٦م). ونجح أدريس بن عبد ا الحسني في إقامة إمارة شيعية في المغرب الأقصى (١٧٢-٢٣٤هـ/٧٨٨-٨٤٨م)، ونجح الرستميون الإباضية (١٤٤-٢٩٦هـ/٧٦١-٩٠٨م) في إقامة دولة لهم في المغرب الأوسط، وأعطى الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨١٩م) حلفائه الأغالبة (١٤٨-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) الضوء الأخضر ليؤسسوا كياناً مستقلاً لهم في إفريقية لا يرتبط بالخلافة العباسية إلاّ برابطة الولاء والتبعية الاسمية[٧].

ولم يخفِ الفاطميون في إطار صراعهم السياسي والمذهبي مع الخلافة العباسية تطلعهم إلى السيطرة على مصر، وبعد محاولات متكررة[٨]. نجح القائد الفاطمي جوهر الصقلي[٩] سنة

---

٥. ماجد، عبد المنعم (محقق). السجلات المستنصرية، دار الفكر العربي، مصر، ط١، القاهرة، ١٩٥٤م. وسيشار إليه عند وروده فيما بعد: ماجد، السجلات المستنصرية.

٦. انظر على سبيل المثال لا الحصر: عبد الكريم، ناريمان. المرأة في مصر في العصر الفاطمي، دار النهضة المصرية للكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٩٣م، وسيشار إليه عند وروده فيما بعد: عبد الكريم، المرأة في مصر. العزام، عيسى، دور ست الملك السياسي الإداري، مجلة جامعة المنيا، ٢٠٠١م. وسيشار إليه عند وروده فيما بعد: العزام، دور ست الملك. فرشوخ، أمين، ست الملك، مجلة تاريخ العرب والعالم، ع١٥؛ السنة ٢٥، م٢٩. الشركة اللبنانية للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٥م. وسيشار إليه عند وروده فيما بعد: فرشوخ، ست الملك. صالح، أحمد كامل، الأميرة سلطانة ست الملك وتأثيرها في الدولة الفاطمية، حوليات كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع١٥، ١٩٩٢م، ص٤٩-٩٧.

Lev' Yaacov, The Fatimid Princess sitt Al – Mulk, The Journal of Semitic Studies. Vol 32, 1987, pp.319-328.

٧. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٧١. سيد، أيمن فؤاد السيد، الدولة الفاطمية في مصر (تفسير جديد)، الدار المصرية اللبنانية للنشر، ط١، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٥٨ وما بعدها. وسيشار إليه عند وروده فيما بعد: أيمن سيد، الدولة الفاطمية. الدشراوي، فرحات: الخلافة الفاطمية في المغرب (٢٩٦-٣٦٥هـ/٩٠٩-٩٧٥م)، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٩٤م، ص٨٨ وما بعدها. وسيشار إليه عند وروده فيما بعد. الدشراوي، الخلافة الفاطمية، ولد، داداه. مفهوم الملك في المغرب: دراسة في التاريخ السياسي، ط٢، دار الكاتب اللبناني، دار الكاتب المصرية، بيروت،١٩٧٧م، ص٢٥ وما بعدها. وسيشار إليه فيما بعد داداه، مفهوم الملك في المغرب.

٨. أرسلت العديد من الحملات العسكرية لاحتلال مصر في السنوات ٣٠١هـ/٩١٣م، ٣٠٦هـ/٩١٨م. وسنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م.

٣٥٨هـ/٩٦٨م في فتح مصر، وأقيمت الخطب على منابرها سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م للخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين ا (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م)[١٠]، ثم وجه جوهر الصقلي أنظاره إلى بلاد الشام وبسط سيادة الدولة الفاطمية عليها سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م[١١]، ثم وجه الدعوة للخليفة المعز الفاطمي للقدوم إلى مصر الذي انتقل إليها من المغرب سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م بعد أن توطدت أركان الحكم الفاطمي[١٢].

ومرت الدولة الفاطمية بعد انتقالها إلى مصر بعصرين مهمين لكل منهما ملامحه الخاصة التي تميزه.

العصر الفاطمي الأول: (٣٥٨-٤٥٧هـ/٩٦٨-١٠٦٤م): يمكن تسميته بعصر الخلفاء، ويتسم هذا العصر بمقدرة الخلفاء، وتمكنهم من الأمور السياسية والإدارية والعسكرية، وقوة شخصياتهم وكفايتهم واستحواذهم على مقاليد السلطة الفعلية، وتوسعت سيطرة الدولة الفاطمية في هذا الدور لتشمل إضافة إلى مصر بلاد المغرب العربي وجزيرة صقلية، وبلاد الشام والحجاز واليمن، كما اتسم هذا العصر بالاستقرار النسبي والانتعاش الاقتصادي[١٣]. وتداول السلطة في هذا العصر خمس من الخلفاء هم على التوالي: المعز لدين ا (٣٥٨-٣٦٥هـ/٩٦٨-٩٧٥م)، ثم العزيز با (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م)، وولده الحاكم بأمر ا (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م) وولده الظاهر لإعزاز دين ا (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م)، وحتى نهاية الشطر الأول من خلافة ولده المستنصر با سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م.

العصر الفاطمي الثاني: (٤٥٧-٥٦٧هـ/١٠٦٤-١١٧١م): يمكن تسميته بعصر الوزراء أو

انظر: أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية، ص٦٩- ٧٣.س

٩. حول ترجمته انظر: ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، دار، بيروت، (د.ت)، ج١، ص٣٧٥. وسيشار إليه فيما بعد: ابن خلكان، وفيات الأعيان.

١٠. سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت ٦٥٤هـ/١٢٦١م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان السنوات (٣٤٥-٤٤٧هـ)، تحقيق: جنان الهموندي، الدار الوطنية للكتاب، ط١، بغداد، ١٩٩٠م. ص١٥٩. وسيشار إليه فيما بعد: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان.

١١. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٤م). الكامل في التاريخ، ٨ج، دار صادر، ط١، بيروت، ١٩٧٩م. ج٨، ص٥٩١. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الأثير، الكامل.

١٢. ابن كثير، أبو الفداء الحافظ (ت ٧٤٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية في التاريخ، ١٢ج، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ج١١، ص٢٨٤. وسيشار إليه فيما بعد: ابن كثير، البداية والنهاية. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م). تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات الشريف الرضي، (د.ت)، ص٤٠٣. وسيشار إليه فيما بعد: السيوطي، تاريخ الخلفاء.

١٣. سلطان، عبد المنعم. المجتمع المصري في العصر الفاطمي، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥م، ص٣٩. وسيشار إليه فيما بعد: سلطان، المجتمع المصري.

مرحلة ضعف الخلفاء، وتحكم قادة الجيش الذين هيمنوا على مؤسسة الوزارة، ويبدأ هذا العصر منذ الشطر الثاني من خلافة المستنصر با سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م وحتى سقوط الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي قطع الخطبة للخليفة العاضد با آخر الخلفاء الفاطميين وأمر بالخطبة للخليفة العباسي المستضي با سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م[١٤].

وتداول على مؤسسة الخلافة في هذا الدور سبع من الخلفاء[15] بينهـم خمسة أطفال افتقروا إلى الحنكة والدراية السياسية، وكان الوزراء يديرون أمر الدولة "تدبير سلطنة وملك لا تدبير وزارة"[١٦]، وعلى الصعيد الداخلي، عانت مصر من المجاعات والكوارث السياسية والاقتصادية نتيجة سوء الإدارة والصراعات بين طوائف الجند، مما ترتب عليه سوء الأوضاع الاقتصادية[١٧]. وعلى الصعيد الخارجي، بدأت الولايات التابعة للدولة الفاطمية في شمال إفريقية وصقلية تنفصل مشكلة دولاً مستقلة[١٨]، وانفصلت أجزاء من بلاد الشام والحجاز التي استحوذ عليها السلاجقة، ثم الفرنجة الذين غزو بلاد الشام منذ عام ٤٩٠هـ/١٠٩٧م.

واستفحلت المجاعات في مصر التي اصطلح على تسميتها الشدة العظمى (٤٥٧-٤٦٤هـ/١٠٦٤-١٠٧١م). وفيها تدهورت أحوال مصر الاقتصادية وتحكم الوزراء[١٩]، ومما زاد الأمور سوء تفاقم الفتن بين الجند السودان المدعومين من أم الخليفة المستنصر، والجند الأتراك[٢٠]، فاستدعى الأمر الخليفة المستنصر إلى اللجوء لأمير الجيوش بدر الجمالي سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م[٢١]، والاستنجاد به لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الدولة الفاطمية تحكم فيها القادة

---

١٤. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٣٠١ وما بعدها.

١٥. هم على التوالي: المستنصر با أبو تميم معد (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م)، والمستعلي با أبو القاسم أحمد (٤٨٧-٤٩٥هـ/١٠٩٤-١١٠١م). والآمر بأحكام ا أبو علي المنصور (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٣٠م). والحافظ لدين ا أبو الميمون عبد المجيد (٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٣٠-١١٤٩م). والظافر بأمر ا إسماعيل بن الحافظ (٥٤٤-٥٤٩هـ/١١٤٩-١١٥٤م). والفائز بنصر ا أبو القاسم= =عيسى بن الظافر (٥٤٩-٥٥٥هـ/١١٥٤-١١٦٠م). وآخرهم العاضد لدين ا محمد عبد ا (٥٥٥-٥٦٧هـ/ ١١٦٠-١١٧١م).

١٦. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٧.

١٧. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٧٥. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ٤ج، دار صادر، بيروت (د.ت). ج٤، ص٧٤. وسيشار إليه فيما بعد: المقريزي، الخطط.

١٨. ابن الصيرفي، أبو القاسم علي ابن منجب (ت ٥٤٢هـ/١١٧٤م)، الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: عبد ا مخلص، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، ط٤، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٥٥-٥٦. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة. ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف (ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م). المنتقى من أخبار مصر. تحقيق: أيمن فؤاد السيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، (د.ت)، ص٥٨. وسيشار إليه فيما بعد: ابن ميسر، أخبار مصر. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٣٢٠.

١٩. المناوي، محمد، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٧٤-٧٥. وسيشار إليه فيما بعد: المناوي، الوزارة.

٢٠. العوفي، محمد سالم، العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقي (٤٤٧-٥٧٦هـ/١٠٥٥-١١٨٠م)، ط١، ١٩٨٢م، ص١٧٢ وما بعدها. وسيشار إليه فيما بعد: العوفي، العلاقات السياسية.

٢١. ابن الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، ص٥٨. ابن الأثير، الكامل. ج٨، ص٤٥١-٤٥٤. المقريزي، إغاثة الأمة بكشف

العسكريون بمقدرات الدولة، وتلقبوا بالوزراء، واستحوذوا على السلطات العسكرية والإدارية (السيف والقلم)[٢٢] وانحصرت السلطة بأيديهم حتى سقوط الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م. ولم يعد للخلفاء معهم سلطة تذكر.

أ) دور سيدات القصور في الحياة السياسية والعامة خلال العصر الفاطمي الأول:

١. ست الملك شقيقة الخليفة الحاكم بأمر ا :

تندر الإشارة في المصادر إلى دور لافت لسيدات القصور الفاطميات خلال العصر الأول باستثناء الإشارة إلى الدور المهم الذي نهضت به ست الملك (سلطانة) ابنة الخليفة العزيز با والشقيقة الكبرى للخليفة الحاكم بأمر ا ، وربما يعود ذلك إلى أن الدولة الفاطمية لم تواجه مشكلات تهدد وجودها منذ نشأتها إلى حين تولي الخليفة الحاكم، ومما ساعد في بروز دور ست الملك صِغر سن الخليفة الحاكم عند توليه الخلافة[٢٣]، ثم محاولة الحاكم نقل الخلافة عن ولده الظاهر[٢٤]. إلى ابن عمه أبي القاسم عبد الرحيم بن إلياس[٢٥]. وقد عهد إليه فعلاً، ولاية العهد والخلافة من بعد وفاته في سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م[٢٦]، وأوكل إليه الإنابة عنه في الخطبة، ونقش اسمه على السكة (النقود)[٢٧]، وهو أمر لو حصل فعلاً، فإنه سيهدد سلامة الدولة الفاطمية.

وأسهمت الشخصية القلقة للخليفة الحاكم والمظالم التي ارتكبها أو تلك التي نسبت إليه بدور مهم في بروز شخصية ست الملك، وتدخلها في شؤون الدولة، خاصة بعد تخلص الحاكم من وصاية برجوان عليه سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م، وتوليه زمام الأمور بنفسه[٢٨]، واستياء أهالي مصر من

الغمة أو تاريخ المجاعات في مصر، خزانة الفكر العربي، (د.ت)، ص٢٢-٢٣. اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٦٢-٢٦٣.

٢٢. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٣١١ وما بعدها. المناوي، الوزارة في العصر الفاطمي، ص١٣٧ وما بعدها.

٢٣. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٩٠. الموصلي، ياسين الخطيب العمري (ت ١٢٣٢هـ/١٨١٦م). الروضة الفيحاء في تاريخ النساء، تحقيق: عماد علي حمزة، الدار العالمية (د.ت)، ص٤٦٣. وسيشار إليه فيما بعد: الموصلي، الروضة الفيحاء.

٢٤. ابن ظافر الأزدي، جمال الدين علي الأزدي (ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م)، أخبار الدول المنقطعة: دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين، تحقيق: أندريه فرية، مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ط١، ١٩٧٢م، ص٦٣-٦٦. وسيشار إليه فيما بعد: ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة. الدوداري، كنز الدرر، ج٦، ص٣١٣-٣٣٥. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٢٤-١٨٣.

٢٥. وهو عبد الرحيم بن إلياس ابن أبي القاسم علي بن المهدي، عينة الخليفة الحاكم والياً على دمشق سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١١٦-١١٧. ابن تغري بردي الأتابكي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، ١٦ج، دار الكتبس العلمية، بيروت، (د.ط)، ١٩٦٢م، ج٤، ص١٩٣- ١٩٤. وسيشار له فيما بعد، ابن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة، الشيال، جمال الدين، مجموعة الوثائق الفاطمية: وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة، ط٢، مصر، م١، ص٥٧- ٦٠، وسيشار له فيما بعد، الشيال، الوثائق الفاطمية.

٢٦. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٠٠-١٠١.

٢٧. الأنطاكي، يحيى بن سعيد (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ اوتيخا. مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٩م، ص٣٠٦. وسيشار إليه فيما بعد: الانطاكي، تاريخ. الشيال، الوثائق الفاطمية، ص٥٨.

٢٨. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٥.

مظالمه[٢٩] وكثرة القتل والتنكيل برجال الدولة، ولم تقتصر مظالمه على المسلميـن وحدهم بل طالت كذلك أهل الذمة[٣٠].

وتذكر بعض المصادر أن ست الملك، ولدت في المغرب قبل سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م وأمها نصرانية من الطائفة الملكية[٣١]، وهي بهذا أكبر سناً من شقيقها الحاكم، وانتقلت إلى القاهرة برفقة جدها الخليفة المعز لدين الله سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م[٣٢]. وكان والدها الخليفة العزيز بالله يكن لها محبة شديدة، وكانت موضع ثقته، فكان يستشيرها في أمور كثيرة، وكانت تجيبه إجابة حزم وتعقل وروية[٣٣].

وتوصف ست الملك في المصادر بقوة الشخصية، وسداد الرأي[٣٤]، وبأنها ذات أدب ودين وعقيدة حسنة، وكانت كثيرة الصلاة، والصوم، وتلاوة القرآن، والبر، والصدقة على المساكين[٣٥]، كاملة العقل صحيحة التدبير، وعظيمة القدر جليلة الرأي[٣٦]، وعلى درجة من الدهاء.

إن ما تمتعت به ست الملك من حزم، وقوة في الشخصية، والدهاء مكنها من أن تدير دفة الحكم بحزم واقتدار نيابة عن شقيقها الحاكم عندما كان صغيراً عند تقلده مقاليد الخلافة سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م، فتولت تدبير الأمور بالتعاون مع رجال الدولة[٣٧]، وقدمت النصح والمشورة وحذرت شقيقها الحاكم من مغبة سياسته المتشددة مع الرعية[٣٨]، لكن الدور الفعلي لها اتضح جلياً

---

٢٩. ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد التميمي (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م)، تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، دار الإحسان، دمشق، ١٩٨٣م، ص٧٥-٩١. وسيشار إليه فيما بعد: ابن القلانسي، تاريخ. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٨ج، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٣٩م، ج٧، ص٢٩٧-٢٩٨. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الجوزي، المنتظم. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٢٨-١٢٩.

٣٠. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، العبر في خير من غبر، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، ١٩٨٥م، ج٢، ص٢٢٠. وسيشار إليه فيما بعد: الذهبي، العبر.

٣١. وهم الأقباط الكاثوليك وعندما حصل الانشقاق الكنسي في الكنيسة القبطية عام ٤٥١م رفض الأقباط قرار هذا المجمع الكنسي وعدوهم كفاراً. واختار الملكيين لهم بطريقاً وعرف أتباعه بالملكية. عنان، محمد عبد الله، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٤١. وسيشار إليه لاحقاً: عنان، الحاكم بأمر الله.

٣٢. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٩٠.

٣٣. البواب، سليم، مئة أوائل من النساء، دار الحكمة، ط٤، دمشق، ١٩٨٦م، ص٤١٠. وسيشار إليه فيما بعد: البواب، مئة أوائل من النساء. جمعة، أحمد خليل، نساء من التاريخ، دمشق، دار اليمامة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٧م، ص٣٨. وسيشار إليه فيما بعد: جمعة، نساء من التاريخ.

٣٤. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٧٧. الموصلي، الروضة الفيحاء، ص٤٦٣.

٣٥. الدوداري، كنز الدرر، ج٦، ص٣٠٠.

٣٦. ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص٥٨. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٨ج، تحقيق: محمد أمين ومحمد حلي، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٩٩٢م، ج٢٨، ص٢٠٥. وسيشار إليه فيما بعد: النويري، نهاية الأرب. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٩٨.

٣٧. ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص٢٦-٣٣؛ ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص٥٧.

٣٨. ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص٥٧-٥٨. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٠٧. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٧٨-١٨٩.

عندما أقدم الحاكم على نقل ولاية العهد عن ولده، ودورها في إدارة شؤون الدولة خلال المرحلة الانتقالية التي رافقت مقتل الحاكم، ومباشرة خليفته الظاهر إدارة الأمور بنفسه.

وتؤكد بعض المصادر أن لست الملك دوراً بارزاً في التخلص من ولي العهد عبد الرحيم بن إلياس بعد اختفاء الحاكم، فأرسلت إليه سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م تستدعيه من دمشق؛ إذ كان الخليفة الحاكم قد عينه والياً عليها، وأخذت منه البيعة للخليفة الظاهر كما يقال بالقوة، وعدل به في طريقه إلى القاهرة إلى جزيرة تنيس وقتل بها[٣٩]. وفي رواية أخرى أن ست الملك هي من دست السم له[٤٠].

وبصرف النظر عن الغموض الذي أحاط علاقة ست الملك بشقيقها الحاكم الذي اتهمها بوجود علاقة مشبوهة بينها وبين ابن دواس مقدم الكتامية[٤١]، وطعنه بشرفها[٤٢] وإرساله القوابل (جمع قابله) للتأكد من عذريتها[٤٣]، فإن حصل هذا فعلاً، فيمكن فهمه ضمن سيـاق تشدد الحاكم مع النساء عموماً في عصره[٤٤].

٣٩. الشيال، الوثائق الفاطمية، ص٦٠. وتنيس جزيرة قريبة من ساحل النيل بين الفرما ودمياط. انظر حولها: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدا (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، تحقيق: فريد الجندي، ٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)، ج٢، ٦٠-٦٣. وسيشار إليه فيما بعد: ياقوت، معجم البلدان.

٤٠. الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص٣٦٨. النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٠٤. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٨٢-١٨٣. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٩٣-١٩٤.

٤١. وهو سيف الدولة حسين بن دواس الكتامي من كبار رجال الدولة، وينتمي إلى قبيلة كتامة البربرية التي اعتمدت عليها الدولة الفاطمية عشية قيامها في المغرب وبعد انتقالها إلى مصر. ابن القلانسي، تاريخ، ص٩٧. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٨٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢٢، ص١٠. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ج٢ص١٤٨- ١٥٢. وسيشار له فيما بعد ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون.

٤٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٩٨. ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص٩٧. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٩. الدوداري، كنز الدرر، ج٦، ص٣٠١. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١١٥. ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ – ١٧٦٨) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٦ج، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت (د.ت) ج٣، ص١٩٢-١٩٤، وسيشار له فيما بعد الحنبلي، شذرات الذهب.

٤٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٣٩٨. ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص٥٧. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص١٢٩، ١٣٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٤٤٧. الدوداري، كنز الدرر، ج٦، ص٣٠١. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٦١. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١١٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٨٥. السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ٢ج ، مطبعة الموسوعات، مصر (د.ت)، ج٢، ص١٥. وسيشار له فيما بعد السيوطي، حسن المحاضرة.

Brocklman, Carl, History of the Islamic, London, 1980, p160.

والقوابل: جمع قابلة وهي المرأة التي تتولى مساعدة النساء الحوامل في الولادة. سلطان، المجتمع المصري، ص١١٧.

٤٤. حول تفسيرات المؤرخين لهذه الظاهرة. انظر: متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ٢ج، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩م، ج٢، ص١٥٧. وسيشار إليه فيما بعد: متز، الحضارة الإسلامية. عبد الرزاق، أحمد، تاريخ مصر وآثارها الإسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٨١-١٨٥. وسيشار إليه فيما بعد: أحمد، تاريخ مصر، أيوب، إبراهيم رزقه، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ١٩٩٧م، ص٥٥ وما بعدها. وسيشار إليه فيما بعد: أيوب، التاريخ الفاطمي.

وتتضارب الروايات في مسألة اختفاء الحاكم بين من اتهم ست الملك ودورها في قتله وإخفاء جثته[٤٥]، وبين الروايات التي تصدت لمحاولة تبرئتها من هذه التهمة[٤٦]. ونحن لا نستبعد أن يكون لها يد في تدبير مؤامرة قتله وإخفاء جثته، لخوفها على سلامة الدولة، بسبب سلوكات الحاكم وعزمه نقل ولاية العهد عن وريثه الشرعي المستحق للخلافة، ناهيك عن تصاعد الاستياء بسبب تشدده مع الرعية، ومحاولة التضييق على شقيقته ست الملك شخصياً وتوجيه الاتهامات لها، وما يؤكد هذا تخوف الحاكم على والدته من شقيقته ست الملك، وقيامه بإيداع مبلغ من المال لديها ليكون ذخيرة لها فيما إذا عرض له أمر[٤٧].

وتولت ست الملك تسيير أمور الحكم بشكل مباشر إثر اختفاء الخليفة الحاكم[٤٨]، بالتنسيق مع رجـال الدولة ما بين السنوات ٤١١هـ/١٠٢٠م، وحتى وفاتها سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م، فبادرت لعقد البيعة لولده الظاهر[٤٩]، وأغدقت الأموال والأعطيات على رجال الدولة والجند واستحلفتهم للخليفة الجديد[٥٠]، وأقدمت على اغتيال الشخصيات التي تحوم حولها الشبهات في اغتيال الحاكم[٥١]، وبدأت تدريجياً في تخفيف الإجراءات المتشددة التي سبق أن انتهجها الحاكم، فسمحت للنساء بالخروج من البيوت، بعد أن كان الحاكم قد حضر عليهن الخروج ما يقارب الثماني سنوات[٥٢]، وقامت بعدد من الإصلاحات الإدارية من بينها استرجاع الأموال والإقطاعات التي كان الحاكم قد

---

٤٥. ابن القلانسي، تاريخ، ص١٢٧-١٢٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٩٨. ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص٥٨ وما بعدها. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٢٩. الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ج١٥، ص ص١٧٩-١٨٠. وسيشار إليه فيما بعد: الذهبي، سير أعلام النبلاء. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١١٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٨٧-١٨٨. السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٥٢٢. ماجد، عبد المنعم، الحاكم بأمر ا الخليفة المفترى عليه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٨٢م، ص١٧٠. وسيشار له فيما بعد ماجد، الحاكم بأمر ا . فرشوخ، ست الملك، ص٧٨. حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية في مصر في عصر الدولة الفاطمية (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١٤٥. وسيشار إليه فيما بعد: حمادة، الوثائق الفاطمية.

٤٦. الأنطاكي، تاريخ، ص٣٥٩-٣٦٣. الدواداري، كنز الدرر، ج٦، ص٣٠٠. المقريزي، الخطط، ج٤، ص٧٤.

٤٧. يجعل المقريزي هذا المبلغ خمسمائة ألف دينار، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١١٦. في حين يجعله ابن تغري بردي، (٣٠٠) ألف دينار. النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٨٧.

٤٨. ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص٥٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٩٨، ٣٠٠. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٢٩. الدواداري، كنز الدرر، ج٦، ص٣٠١. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١١٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٨٩، ١٩٢.

٤٩. تقلد الخلافة سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م وعمره ستة عشر عاماً وثلاثة أشهر. انظر: ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص٦٣-٦٦. الدواداري، كنز الدرر، ج٦، ص٣١٣-٣٣٥. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٩٤-١٨٣.

٥٠. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٣١. النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٠٣. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٢٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٩٢، ص١٢٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٩٢.

٥١. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٣٠٠. النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٠٤. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٨٢-١٨٣. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٩٣-١٩٤.

٥٢. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٣١. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٢٦.

وهبها من بيت المال[٥٣] والضياع والأعمال والعقارات والأملاك السلطانية. وأعادت فرض المكوس التي كان قد أسقطها[٥٤] وعملت على إحكام قبضة الدولة على ولاياتها الخارجية[٥٥]، وعلى تحسين علاقة مصر بالإمبراطورية البيزنطية التي ساءت عندما أمر الحاكم بهدم كنيسة القيامة في القدس سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م وسائر الكنائس في مصر وبلاد الشام[٥٦]، وتوجت العلاقات الجديدة بتوقيع هدنة مع الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني (٩٧٦-١٠٢٥م) سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م لإعادة العلاقات بين الدولتين، تضمنت بنودها إقامة الخطبة للخليفة الظاهر بجامع القسطنطينية مقابل أن يعيد الظاهر فتح كنيسة القيامة في بيت المقدس وتجديدها، وإعادة بناء الكنائس التي هدمت في مصر[٥٧].

٢. دور السيدة رصد أم الخليفة المستنصر:

إن الإشارات التي بين أيدينا عن حياة السيدة رصد الشخصية قليلة إلى حد ما، وكل ما نعرفه أنها جارية سوداء باعها التاجر اليهودي سهل بن هارون التستري[٥٨] للخليفة الظاهر لإعزاز دين ا الذي تحظاها فولدت له ابنه المستنصر با سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م[٥٩]. وبرزت شخصيتها بشكل واضح إثر تولي ولدها المستنصر با الخلافة، وهو طفل لا يتجاوز السبع سنوات[٦٠]، واستولت على مقاليد السلطة عملياً، واتخذت من الألقاب ما لم تتلقب بها امرأة فاطمية فيما مضى منها: لقب الملكة، ولقب السيدة،

---

٥٣. لا تفصح الروايات التاريخية عن ماهية الأموال والإقطاعات التي استرجعتها ست الملك مما كان الحاكم بأمر ا قد أقطعها. الأنطاكي، تاريخ، ص٢٠٦. ابن إيبك، كنز الدرر، ج٦، ص٢٨٦. ويكتفي المقريزي بالقول: ".. وارتجعت أموال كان الحاكم قد وهبها، وحلت إقطاعات اقطعها ..."، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٢٦.

٥٤. الأنطاكي، تاريخ، ص٦٣٧. المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٣-١٠٥.

٥٥. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٢٩-١٣٠. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٩٦-١٩٨.

٥٦. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٢٩-١٣٠.

٥٧. الأنطاكي، تاريخ، ص٢٣٧. سلطان، المجتمع المصري، ص١٠٣. المناوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، ص٢٢٠-٢٢٤. أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية، ص١٢٢-١٢٣، ولتفاصيل أوفى حول العلاقات الفاطمية البيزنطية في عصر الحاكم بأمر ا والظاهر وتداخل الصراع الفاطمي العباسي، انظر: العوفي، العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقي، ص٦٤ وما بعدها. سرور، محمد جمال الدين، سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، ١٩٩٤م، ص١٧٠ وما بعدها. وسيشار إليه حال وروده فيما بعد: سرور، سياسة الفاطميين الخارجية. سرور، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين ٤- ٥هـ/ ١٠-١١م، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٩٥٧م، ص٨٠ وما بعدها. وسيشار إليه فيما بعد: سرور، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق. سلام، شافعي محمود، أهل الذمة في العصر الفاطمي الثاني والعصر الأيوبي (٤٦٧-٦٤٨هـ)، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م. وسيشار له فيما بعد، شافعي، أهل الذمة.

٥٨. وهو أبو سعد سهل بن هارون التستري كان يهودياً وأسلم، استخدمه الخليفة الظاهر لبيوعه، وكان مقرباً من السيدة رصد وتولى الوزارة لها، وتمتع بنفوذ كبير في الدولة في عهد الخليفة المستنصر حتى قتله الجند الأتراك. ابن الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، ص٣٨. الصنهاجي، أبو عبد ا محمد (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق جلول البدوي، المطبعة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط ١٩٨٤، ص٧١. وسيشار إليه فيما بعد: الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٩٠-١٩١، ١٩٥.

٥٩. ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص٦٧-٨٢. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٨٤.

٦٠. ماجد، السجلات المستنصرية، ص٥.

ومولاتنا[٦١]، واستخدمت هذه الألقاب في مراسلاتها مع الملوك المعاصرين لها، ففي رسالة منها للملكة أروى الصليحية ملكة اليمن سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م تلقبت بلقب "السيدة الملكة والدة الإمام المستنصر أمير المؤمنين"[٦٢]. واتخذت لها علامة للتوقيع أسوة بالخلفاء في مراسلاتها الرسمية، وكان توقيعها "الحمد ولي كل نعمة"[٦٣].

نهضت السيدة رصد بدور كبير في السياسة وتولي مقاليد السلطة خلال عهد ولدها الخليفة المستنصر، وهو دور لم يسبقها إليه أي من السيدات الفاطميات اللواتي سبقنها، ولا حتى معاصراتها من نساء الخلفاء العباسيين، وتدخلت بشكل سافر في شؤون الدولة؛ لقوة شخصيتها من جهة، ولصغر سن الخليفة المستنصر من جهة ثانية. ويمكن أن نحدد مظهرين رئيسيين لهذا التدخل هما: تدخلها في تعيين الوزراء وعزلهم، وتدخلها في أمر الجند وإذكاء الصراع بين طوائفهم.

أ- تدخلها في تعيين الوزراء وعزلهم:

كانت وفاة الوزير نجيب الدولة أبي القاسم علي بن أحمد الجرجرائي سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م[٦٤]، إيذاناً ببدء مرحلة تدخل السيدة رصد في شؤون الدولة، والبداية الفعلية لظهور نفوذها، وفي عهد الوزير سديد الدولة الحسن بن علي الأنباري[٦٥] الذي خلف الجرجرائي في الوزارة، ودب الخلاف بينه وبين أبي سعيد سهل بن أهرون التستري الذي كان وراء تدبير مؤامرة لقتل الأنباري سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م، بمناصرة السيدة رصد التي كانت تناصر التستري لفضله عليها عندما باعها للخليفة الظاهر[٦٦]. ورعت له هذا الجميل وولته وزارتها[٦٧]، وقدمته واختصته بخدمتها[٦٨]، وكانت تعمل بمشورته، ويتضح هذا عندما أشار عليها وعلى المستنصر بوزارة الوزير صدقة بن يوسف الفلاحي[٦٩]، سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م فاستوزره المستنصر[٧٠].

وعندما سعى الفلاحي إلى الانفراد بإدارة أمور الدولة دونها، وسعى إلى تأليب الجند الأتراك على عبيدها السودان، وعلى متولي ديوانها التستري، وأوغر صدور الجند الأتراك على التستري وقتله. وعلى الرغم من محاولة المستنصر إرضاء والدته بالظفر بقَتَلة التستري، فقد

٦١. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٣٤.
٦٢. ماجد، السجلات المستنصرية. سجل رقم ٥١، ص١٦٩-١٧٠. ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤١٢. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٢٢. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١١٥.
٦٣. ماجد، السجلات المستنصرية، سجل رقم ٥١، ص١٦٩-١٧٠.
٦٤. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٨٣.
٦٥. وهو أبو الحسن بن علي الأنباري تولي الوزارة سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م. ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص٣٨. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٩٠.
٦٦. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٩٥.
٦٧. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٤٩، ٣٣٢.
٦٨. ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص٣٨.
٦٩. هو الوزير الآجل تاج الرياسة فخر الملك أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحي، كان يهودياً وأسلم، وكان موصوفاً بالبراعة في فنون الكتابة. ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص٣٧.
٧٠. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٤٩. العوفي، العلاقات السياسية، ص١٣٢.

مارست الضغوط على المستنصر لعزل الفلاحي عن الوزارة ومصادرته وحبسه في خزانة البنود[٧١]، ثم قتله سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م. وبموت الوزير الفلاحي، بدأت مرحلة جديدة من تاريخ الوزارة الفاطمية، تمثلت بقتل الوزراء بتدبير أم المستنصر، ويدال ذلك على مدى ما وصل إليه نفوذها وتحكمها بأمور الدولة، وسعي المستنصر لإرضائها بالانتقام من قتلة التستري[٧٢].

وبعد قتل الوزير الفلاحي، تولى الوزارة أبو البركات الحسين بن عماد الدولة بن محمد ابن أحمد الجرجرائي[٧٣] سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، وكثر في أيامه الحبس والمصادرات[٧٤]، وما لبث الآخر أن اختلف مع سياسة أم المستنصر، فعزلته وولت رئيس ديوانها أبو محمد الحسن ابن علي اليازروي[٧٥].

وعظمت هيبة اليازوري في الدولة بسبب دعم أم المستنصر له، حتى بلغ تقدير الخليفة له أن أصدر أوامره بأن لا يقوم اليازوري لأحد إذا دخل عليه مهما عظم قدره[٧٦]، واجتمع إليه من مناصب الدولة ما لم يجتمع منها لأحد من قبله[٧٧].

وبلغ من محاباة السيدة رصد للوزير اليازوري أن كانت تُخرج له رسولاً من وراء حجاب، فيقول: هذا الصواب[٧٨]. بدليل أن أم الخليفة كانت تأتمر بتوجيهاته، مما أثار حسد رجال الدولة الآخرين، وزينوا للخليفة المستنصر تعيينه في منصب قاضي القضاة في محاولة هدفت إلى إبعاده عن أم الخليفة[٧٩]، وحدد له يومان ليفصل في أحكام القضاء، وينوب عنه فيهما ولداه أبو الحسن محمد الذي ولي القضاء بعد أبيه إلى أن توفي، والثاني عبد الرحمن الذي خاف أخاه في ديوان أم الخليفة[٨٠]. وانتهى الأمر بمقتل اليازوري بأوامر من الخليفة سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م[٨١]. ومما

---

٧١. وتعرف أيضاً بدار البنود، وهي مكان لحفظ الإشارات والأعلام وحفظ الأسلحة، ثم استخدمت منذ عهد المستنصر سجناً خاصاً بالوزراء ورجال الدولة. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٤٢٥.

٧٢. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٣٥٥. اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٩٥-٢٠٣.

٧٣. وهو فخر الأمة أبو البركات الحسين بن عماد الدولة، ولي الوزارة بعد صدقة الفلاحي سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، وكثر في أيامه الحبس والمصادرات، وقبض عليه وصرف عن الوزارة سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م. ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص٣٩.

٧٤. ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص٣٩.

٧٥. وهو أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري، أصله من يازور من عمل الرملة في فلسطين، عمل بخدمة السيدة والدة المستنصر، وتدرج في المناصب حتى تولى الوزارة ومنصب قاضي القضاة وداعي الدعاة، وعظمت مكانته في الدولة وتلقب بسيد الوزراء. ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص٤٠-٥٤. المقريزي، اتعاظ، ج٢، ص١٩٧، ٢١٢-٢١٣. المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٣٩.

٧٦. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٠٣.

٧٧. المصدر نفسه، ج٢، ص٣٣٢.

٧٨. المصدر نفسه، ج٢، ص٢٠٣.

٧٩. ماجد، عبد المنعم، الإمام المستنصر با الفاطمي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ط١، ١٩٦٠ ج٢، ص٢٠٦. وسيشار له فيما بعد، ماجد الإمام المنتصر با .

٨٠. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٠٧. علي، وفاء. نفوذ النساء في الدولة الإسلامية في العراق ومصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٨٢. وسيشار إليه فيما بعد: علي، نفوذ النساء.

يلفت النظر هو عدم تدخل أم الخليفة في الحيلولة دون قتله، ويظهر أنها خشيت من تعاظم نفوذه[٨٢]، مما يهدد الدولة، ويهدد مصالحها الشخصية.

وبعد مقتل اليازوري بدأت مرحلة جديدة انتهى معها دور الوزراء الأقوياء ممن لهم دور بارز في المحافظة على هيبة الدولة، وتدهورت هيبة مؤسسة الوزارة، وعمت الفوضى[٨٣]، بسبب غياب الإدارة الناجحة للدولة، ولم يستقر لها وزير تُحمد طريقته[٨٤]، وزاد الأمور سوء تسلط أم المستنصر وتطاولها على الوزراء بالعزل والمصادرة والقتل، وتولى الوزارة أربعة وخمسون وزيراً، واثنان وأربعون قاضياً خلال الفترة ما بين ٤٥١-٤٦٥هـ/١٠٥٩-١٠٧٢م، انتهى مصيرهم بالعزل بأمر من أم المستنصر وتسلطها عليهم بالمصادرة والاستبدال[٨٥].

ووقف الخليفة المستنصر عاجزاً أمام هذا النفوذ المتزايد لوالدته في الإدارة[٨٦]. فتزايد نفوذ الوزراء وطغت سلطاتهم على سلطات الخليفة؛ لذا يعد عهد المستنصر فاتحة ضعف مؤسسة الخلافة، وما ترتب على هذا الضعف من ظروف اقتصادية تمثلت بانخفاض مستوى مياه نهر النيل في بعض السنوات، وما ترتب عليه من أوضاع اقتصادية سيئة عاشتها الدولة، وما ترتب عليها من انتشار القحط والمجاعات والفتن والغلاء وتعاظم الصراع بين طوائف الجند، التي تعارفت عليها المصادر المعاصرة باسم الشدة المستنصرية ما بين السنوات ٤٥٩-٤٦٥هـ/١٠٦٦-١٠٧٢م[٨٧].

ب- تدخلها في أمر الجند وأذكاء الصراع بين طوائفهم:

لم يقتصر تدخل السيدة رصد على المؤسسة الإدارية فقط، وإنما طال المؤسسة العسكرية كذلك، من خلال إثارة الصراع بين عنصري الجيش الرئيسيين الأتراك والمغاربة، ومن المعروف أن الجيش الفاطمي كان يضم إلى جانب المغاربة العرب والأتراك والديلم والسودان بالإضافة إلى الأرمن[٨٨].

وبدأت الأزمة في الجيش عندما بدأت أم المستنصر تُكثر من شراء العبيد السود من بني جلدتها[٨٩]، وجعلت منهم طائفة خاصة، وزادت في أرزاقهم[٩٠]؛ بهدف أن تجعل منهم قوة تقف

٨١. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٤٢. الصاوي، أحمد. مجاعات مصر الفاطمية: أسباب ونتائج. دار التضامن، لبنان، بيروت، ١٩٨٨م، ص٥٢. وسيشار إليه فيما بعد: الصاوي، مجاعات مصر.
٨٢. المناوي، الوزارة والوزراء، ص٤٧-٧٥. العوفي، العلاقات السياسية، ص١٨٥-١٨٧.
٨٣. الصنهاجي، أخبار بني عبيد، ص٧٢.
٨٤. العزام، عيسى، الدولة الفاطمية في عهد المستنصر با (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٧م، ص١٦٢. وسيشار إليه فيما بعد: العزام، الدولة الفاطمية.
٨٥. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٧٥. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٠٦-١١٢. أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية، ص٢٩. العوفي، العلاقات السياسية، ص١٣٢. أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية، ص١٣٨-١٣٩.
٨٦. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٠. المناوي، الوزارة والوزراء، ص٧٤-٧٥.
٨٧. ابن ميسر، المنتقى، ص٥٨. المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، أو تاريخ المجاعات في مصر، خزانة الفكر العربي، (د.ن)، (د.ت)، ص٢٢- ٢٣ وسيشار له فيما بعد المقريزي، إغاثة الأمة. اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٤٢، ٢٦٢-٢٦٣.
٨٨. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٦٥. العوفي، العلاقات السياسية، ص١٣٢.
٨٩. ماجد، الإمام المستنصر با ، ص١٧٣.
٩٠. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٦٧.

في وجه نفوذ الأتراك المتزايد في الدولة، وتوسعت في هذه السياسة وأكثرت منهم حتى بلغ عددهم نحو الخمسين ألفا ما بين فارس وراجل في القاهرة ونواحي مصر، وجعلت منهم حراس الخليفة وحراساً لها[٩١]، وبمرور الوقت تعاظم نفوذهم حتى صار العبد منهم يحكم حكم المولى (السيد)، وهذا كان فاتحة الفتنة والخراب"[٩٢]، مما زاد حنق العنصر التركي، ونشب القتال بين الطرفين ابتداءً من سنة ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م[٩٣].

وأمام اتساع شقة الخلاف بين الطرفين تحالف الخليفة مع الأتراك في محاولة للحد من نفوذ والدته وعناصر السودان في الجيش، في حين تحالفت والدته والقوات المؤيدة لها من السودان مع قبيلة لواته المغربية[٩٤]، مما ترتب عليه انقسام الجيش إلى طائفتين متعاديتين، واستحكم العداء بينهما وتوالت الصراعات العسكرية، مما انعكس سلباً على الدولة، لا سيما الأوضاع الاقتصادية والإدارية.

ونجحت قوات الأتراك وحلفاؤهم المغاربة في حسم الصراع لصالحهم بزعامة ناصر الدولة بن حمدان[٩٥]، وفر السودان إلى منطقة دمنهور[٩٦] في الصعيد، ومع توالي الدعم الذي لقيه السودان من أم الخليفة التي أمدتهم بالمال والسلاح، تمكنوا من إحراز النصر على الأتراك[٩٧] الذين صبوا بدورهم جام غضبهم على الخليفة المستنصر متهمين إياه بمساندة العبيد، وأغلظوا في مخاطبته وأجبروه على تعويضهم عن أموالهم التي نهبها السودان، وأعاد الأتراك الكرة، وتمكنوا من هزيمة السودان ثانية وقتلوا أعداداً كثيرة منهم[٩٨]. وترتب على هذه الصراعات بين طوائف الجيش استنزاف موارد الدولة المالية، ناهيك عما رافقها من اضطراب حبل الأمن[٩٩]، وترتب على الانتصار الذي أحرزه الأتراك تعاظم نفوذهم، فقبض ناصر الدولة على أم الخليفة واستصفى أموالها، ولم تتخلص من الأسر إلا بعد أن دفعت فدية مالية[١٠٠]. وبعد هزيمة السودان وتراجع قوتهم لم يكن أمام أم الخليفة إلا الهرب إلى بغداد، وقيل إلى بلاد الشام[١٠١]، وهو الأرجح؛ لأنه من المستبعد أن تكون وجهتها بغداد بسبب الصراع المستحكم

---

٩١. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٧٣. ماجد، الإمام المستنصر با ، ص١٦٨.

٩٢. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٦٥-٢٦٧، ٢٧٣. ماجد، الإمام المستنصر با ، ص١٦٨، ٢٦٥-٢٦٧، ١٩٧٣.

٩٣. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٩٨. ابن ميسر، المنتقى، ص٢٤. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٦٥، ٢٦٧. المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٦٣-٢٦٤. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٩.

٩٤. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٧٣-٢٧٧. العزام، الدولة الفاطمية، ص١٦٩.

٩٥. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٧٣. وهو ناصر الدولة بن الحسين بن حمدان أبو محمد الثعلبي ذو المجدين وينتمي إلى الأسرة الحمدانية التي حكمت حلب والموصل، وفد إلى مصر سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م وحكم ريف مصر. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٩. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٠.

٩٦. وهي بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد في طريق مصر. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٥٣٦.

٩٧. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٦٧.

٩٨. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٧٦.

٩٩. المقريزي، إغاثة الأمة، ص٨٥. اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٧٥.

١٠٠. ابن الزبير، القاضي الرشيد (ت القرن الخامس هـ/١١م)، كتاب الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد ا ، المطبعة الحكومية، الكويت، ١٩٨٤م، ص٨١. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الزبير، الذخائر والتحف.

١٠١. ماجد، الإمام المستنصر، ص١٥٨. وفاء محمد علي، نفوذ النساء، ص٩٥.

آنذاك بين الخلافتين الفاطمية والعباسية.

ويعد العام ٤٦٢هـ/١٠٦٩م، نهاية نفوذ السيدة رصد أم المستنصر ونهاية المرحلة التي تحكمت فيها في الدولة الفاطمية، وتعاظم نفوذ الجند الأتراك إثر الانتصار الذي أحرزوه على العبيد السودان وتسلطهم على مقدرات الدولة، وعلى الخليفة نفسه، وازدادت مطالبتهم إياه بالأموال، وتفاقمت أزمة مصر الاقتصادية، وترتب عليها اضطراب أحوال الأمن وتفشي الوباء والموت، وضعف مداخيل الدولة، ففرغت خزائنها بسبب تعطل الأراضي الزراعية، لعدم توافر الأيدي العاملة بسبب كثرة الوفيات[١٠٢] "فكان يموت الواحد من أهل البيت في القاهرة أو مصر فلا يمضي يوم أو ليلة حتى يموت سائر من في البيت، حتى عجز الناس عن مواراة الأموات.."[١٠٣].

لم يكن أمام الخليفة المستنصر با لمواجهة الأوضاع السيئة تلك إلا استدعاء القائد بدر الجمالي[١٠٤] من الشام سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م. لتولي الوزارة، وبتولي بدر الجمالي الوزارة بتفويض من الخليفة المستنصر الذي فوض له جميع صلاحياته[١٠٥]. وفق ما يقول ابن القلانسي، "وكان المستنصر محجوراً عليه مع بدر الجمالي، فلم يبق له من الأمر إلا القيام برسوم الدولة، والركوب بالعيدين مثلما كان مع أمه"[١٠٦]. وليكون الجمالي بذلك أول قائد عسكري يوليه الفاطميون الوزراة[١٠٧]. وبدأ معه عهد جديد في تاريخ الدولة الفاطمية واستمر حتى سقوطها على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، الذي يتمثل بانتقال السلطة لأرباب السيوف الذين أصبحوا الحكام الفعليين للدولة، وجمعوا في أيديهم السلطات التنفيذية والقضائية والدعائية، إضافة إلى إمرة الجيوش[١٠٨].

وتكشف المقارنة بين أبرز شخصيتين من النساء الفاطميات، وهما: ست الملك شقيقة الحاكم بأمر ا ، والسيدة رصد أم الخليفة المستنصر وجود فروق جوهرية بين شخصية كل منهما، والآثار المترتبة على تدخل كل منهما بشؤون الدولة، ففي حين اتصفت ست الملك بالعقل الراجح

---

١٠٢. ابن ميسر، المنتقى، ص٥٨. النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٣٤. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٦. اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٧٩-٢٨٠. إغاثة الأمة، ص٢٣. سعد، أحمد صادق، تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٩م، ص٢٦٤. وسيشار إليه فيما بعد: سعد، تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي.

١٠٣. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٣٠٣.

١٠٤. تولى الوزارة بعد بدر الجمالي ابنه الأفضل، ثم الصالح طلائع بن رزيك، ثم ولده مجد الإسلام، ثم شاور، انظر: ابن الطوير، أبو محمد المرتضي عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق: أيمن فؤاد السيد، دار النشر فرانز تشاينر، شتوتغارت، ١٩٩٢م، ص٤٠. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الطوير، نزهة المقلتين، لويس، شيخو، وزراء النصرانية وكتابها في الإسلام، تحقيق كميل حشيمة اليسوعي، التراث العربي المسيحي، لبنان، ١٩٨٧م. ص١٤٠م. وسيشار إليه فيما بعد: لويس، وزراء النصرانية في الإسلام.

١٠٥. ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص١٣. ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين ورسولهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ج١، ١٩٩٣م. ج١، ص٨٣. وسيشار إليه فيما بعد: ماجد، نظم الفاطميين ورسولهم في مصر.

١٠٦. ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٣٦.

١٠٧. ابن ميسر، المنتقى، ص٣٩-٤٠. ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٤٩.، المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٤٤.

١٠٨. ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ج١، ص٨١.

وبالحكمة والحنكة، وسداد الرأي وجاء تدخلها في صالح الدولة وإنقاذها من الانهيار بسبب سلوكات شقيقها الحاكم، ثم سيطرتها على زمام الأمور بكل حزم واقتدار بعد اختفائه المفاجئ ومقدرتها الفذة على أخذ البيعة لولده الظاهر بالاعتماد على رجال الدولة الأكفاء، وبصماتها الواضحة في إعادة هيبة الخلافة، وإصلاح ما أفسده الحاكم، وإحسانها السيرة في أهل مصر إلى حين وفاتها سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م(١٠٩)؛ في حين كانت السيدة رصد أم الخليفة المستنصر على النقيض من ذلك، فقد استغلت صغر سن ولدها لتتحكم بأمور الدولة، وتنفرد بالسلطة دون ولدها الخليفة، وتدخلت بطريقة جلبت الخراب من خلال التدخل في مؤسسة الوزارة، ومؤسسات الدولة الأخرى وأثارت النعرات بين طوائف الجيش، مما أدى إلى انحدار هيبة مؤسسة الوزارة فانعكس ذلك سلباً على المؤسسات الإدارية الأخرى، ومن ثم ضياع هيبة الخلافة، بحيث أوقعت سياستها الخرقاء الدولة في ما اصطلح على تسميته الشدة العظمى التي فتحت المجال لتدخل العسكر في شؤون الدولة، مما شكل المعول الرئيس الذي أدى بالنهاية إلى ضعف الدولة الفاطمية وسقوطها.

وباستثناء ست الملك والسيدة أم المستنصر لا تحفل المصادر بالحديث عن أمهات ونساء وشقيقات الخلفاء الفاطميين، مما ينبئ بأنهن لم يقمن بدور سياسي مهم يشار إليه، وعرضت المصادر عرضاً سريعاً للسيدة المعزية زوجة الخليفة المعز لدين ا ووالدة الخليفة العزيز با التي تلقبها المصادر بأم الأمراء واسمها تغريد وقيل درزان أو درزارة، وهي أم ولد(١١٠)، وتنسب لها المصادر بعض المآثر العمرانية، مثل: منازل العز في القاهرة سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، وجامع وحمام القرافة الذي بني على يد الحسين بن عبد العزيز الفارسي المحتسب، وكان من أحسن متنزهات مدينة القاهرة(١١١)، وتوفيت سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م، أي قبل وفاة ولدها الخليفة العزيز با بسنة واحدة(١١٢)، وحملت إلى القصر وصلى عليها العزيز وكفنها بما قيمته عشرة آلاف دينار، وأخذت الغاسلة ما تحتها من الفرش وما عليها من ثياب، بقيمة ستة آلاف دينار، وأقامت ابنتها العزاء على قبرها شهراً، ويأتيها الناس وتطعمهم كل ليلة أصنافاً من الأطعمة والحلوى، وفرقت على الشعراء وجماعة ممن رثوها ألف دينار(١١٣).

وأشارت المصادر إلى السيدة العزيزية زوجة الخليفة العزيز، وهي امرأة رومية نصرانية من الطائفة الملكية(١١٤)، وكانت جارية تسراها وأنجبت له ست الملك، وكانت لها مكانة كبيرة عند الخليفة العزيز، وتأثير كبير في سياسة التسامح التي انتهجها تجاه النصارى، وإشراكهم على نطاق واسع في

١٠٩. ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ص٥٨. النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٠٥. الدواداري، كنز الدرر، ج٦، ص٣٠٠. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٠٧، ١١٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٧٨-١٨٩. السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٥٢٢.
١١٠. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢٣٦.
١١١. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٣٧٩.
١١٢. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢٨٨.
١١٣. المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٩.
١١٤. سبق تعريف الملكانية ص (٩) حاشية (٣١).

إدارة الدولة، ومشاركتهم في أعيادهم واحتفالاتهم[١١٥].

ومن بين بنات الخلفاء اللواتي أُشير لهن ست مصر ابنة الخليفة الحاكم بأمر الله التي كان إقطاعها يغل سنوياً (٥٠) خمسين ألف دينار، وكان من بين تركتها ثماني آلاف جارية، وكانت غلة إقطاعها في كل سنة (٥٠) خمسين ألف دينار، وكان من ضمن تركتها ثلاثون زيراً صينياً جميعها مملوءة مسكاً مسحوقاً، وكذلك وجد لها جواهر نفيسة، ومن ضمنها قطعة ياقوت فيها عشرة مثاقيل[١١٦]، كما أشارت المصادر إلى شقيقة المستنصر من أمه رصد التي ينسب لها دور مهم في إثبات صحة بيعة المستنصر لولده المستعلي بدلاً من ولده الأكبر نزار، ويتضح هذا من مراسلاتها مع الملكة الحرة الصليحية ملكة اليمن[١١٧].

ب) دور النساء الفاطميات في العصر الفاطمي الثاني:

لم يبرز للمرأة الفاطمية –في ضوء ما بين أيدينا من إشارات- دور ذو قيمة في العصر الفاطمي الثاني مقارنة بالدور الذي قمن به خلال العصر الفاطمي الأول، ويمكن تفسير ذلك بتراجع مؤسسة الخلافة، وتراجع دور الخلفاء إزاء تعاظم نفوذ الوزراء، الذي ألقى ضلاله على دور السيدات الفاطميات ومكانتهن. ويمكن الإشارة إلى الدور الذي قامت به شقيقة الخليفة الظافر[١١٨] الذي بويع بالخلافة بوصية من والده الخليفة الحافظ لدين الله سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م، ويتضح هذا الدور في وزارة نجم الدين سليم ابن مصال[١١٩] الذي تصرف بشؤون الدولة وفق هواه، مما أثار حفيظة سيدات القصر ولجأن إلى التخلص منه بالتحالف مع سيف الدين علي ابن السلار[١٢٠]، وتحالف ابن السلار بدوره مع ربيبه عباس بن تميم الصنهاجي[١٢١] في الغربية،

١١٥. العيني، سيرة الملك المؤيد، ص١٥٥. خورشيد، فتحي، كنائس وأديرة محافظة الفيوم، المجلس الأعلى للآثار، ط١، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٤٨ وما بعدها. وسيشار إليه فيما بعد: خورشيد، كنائس وأديرة الفيوم.

١١٦. الرشيد ابن الزبير، الذخائر والتحف، ص٢٤٠-٢٤١. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٠٣. المقريزي المواعظ والاعتبار، ج٣، ص١٤٧.

١١٧. ماجد، السجلات المستنصرية، سجل رقم ٥٢، ص٢٠٢-٢٠٤. عبده، عبد الله كامل، الفاطميون وآثارهم المعمارية في أفريقية ومصر واليمن، دار الآفاق العربية، ط١، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٩٣. والملكة الحرة هي الملكة أروى الصليحية. أسماء بنت شهاب خطب لها على المنابر في اليمن وكانت لها مكانة خاصة في الدولة الفاطمية كما يتضح من مراسلاتها مع الخليفة المستنصر ووالدته. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١١٥. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٢٢.

١١٨. الظافر بأمر الله أبو منصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله ابن الأمير محمد بن المستنصر، ولد سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م، وبويع بالخلافة بوصية من والده الخليفة الحافظ لدين الله سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م، وعمره سبعة عشرة عاماً وأربعة أشهر. ابن منقذ، أسامة بن مرشد الكناني الشيزري (ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)، كتاب الاعتبار، تحرير: فيليب حتى، مكتبة الثقافة الدينية، (د.م)، ١٩٩٣م، ص١٥-٥٥. وسيشار إليه لاحقاً: ابن منقذ، الاعتبار. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٩٣.

١١٩. وهو الأمير نجم الدين أبو الفتح سليم بن محمد بن مصال، خلع عليه بالوزارة ولقب بالسيد الآجل الأفضل. ابن منقذ، الاعتبار، ص٧. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٩٣.

١٢٠. وهو الأمير المظفر سيف الدين معدن الملك ليث الدولة علي بن إسحق ابن السلار، كان والياً على البحيرة والإسكندرية في خلافة الظافر. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٩٦.

١٢١. عباس ابن زوجة السلار وابن السيدة بلار من زوجها أبو الفتوح يحيى بن تميم بن المغر بن باديس كان والياً على

واتفقا على خلع ابن مصال[١٢٢] وفعلاً تمكنا من قتله[١٢٣]، وسعى ابن السلار نتيجة ذلك على الاستئثار بالوزارة، فتعاظم أمره بعد أن نال الوزارة، وتحكم بالأمور غير أنه لم يلبث أن برز له ربيبه عباس منافساً، وقُتل ابن السلار سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م، وخلع عليه الخليفة الظافر خلع الوزارة[١٢٤]، ودبر عباس الصنهاجي مؤامرة راح ضحيتها الخليفة الظافر، وأقدم على قتل أخوي الخليفة الظافر يوسف وجبريل، وابن عم لهما وهو صالح بن حسن بن عبد المجيد بن المستنصر بعد أن اتهمهم بتدبير مؤامرة القتل، مما أثار حنق سيدات القصور اللواتي أضمرن له البغضاء، ودبرت عمة الخليفة الفائز وبناته[١٢٥] مؤامرة للتخلص من عباس بالاتفاق مع طلائع بن رزيك[١٢٦]، الذي كان آنذاك والياً على الاشمونيين والبهنسا[١٢٧]، وأرسلن له الكتب وبطيها شعور النساء الفاطميات يستغثن به على الوزير عباس الصنهاجي[١٢٨]، ونجحت المؤامرة، ودخل طلائع ابن رزيك القاهرة على رأس جيش وهو متوشح بالسواد، وأعلامه وبنوده كلها سوداء، وشعور النساء التي وصلته من مصر على رؤوس الرماح[١٢٩]. وتولى الوزارة، ولقب بالملك الصالح[١٣٠]، أما عباس، فقد هرب إلى بلاد الشام وتعقبته شقيقة الظافر، وكاتبت الفرنج بعسقلان، وبذلت لهم الأموال للقبض عليه وعلى ولده[١٣١]، وانتهى الأمر بمقتله وجيء بولده إلى مصر في قفص سنة ٥٥٠هـ/١١٥٤م، وأوكلت لجواري القصر مهمة قتله، وقتل، "قتلته الجواري نخساً بالمسال وصفعاً بالنعال، وقطعوا لحمه واشتوه وأطعموه إياه حتى مات"، ثم أُخرج من القصر وصلب على باب

الغربية. النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٨. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٩٦. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٩٢.

١٢٢. ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص٤٨. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٩٧.

١٢٣. ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص٤٨. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٩٩.

١٢٤. الأصفهاني، عماد الدين (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر)، نشره أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس، ج١، (د.م)، ١٩٥١م، ص١٧٣. وسيشار إليه فيما بعد: الاصفهاني، خريدة القصر. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٠٤-٢٠٦.

١٢٥. وهو الفائز بنصر ا أبو القاسم عيسى بن الظافر بأمر ا أبي المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين ا أمه ست الكمال، ولد سنة ٥٤٤هـ/١٠٤٩م، وبويع له بالخلافة سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م، وعمره خمس سنوات وعشرون يوماً. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢١٣-٢١٤.

١٢٦. وهو طلائع بن رزيك الأرمني من ولاة الفاطميين على منية خصيب في الصعيد. انظر: العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ج١، ص١٧٣. ابن ظافر الأزدي، أخبار الدولة المنقطعة، ص٧٧.

١٢٧. الأشمونيون ولاية بالوجه القبلي جنوبي ولاية البهنسا وقاعدتها مدينة الأشمونيين وتقع على شاطئ النيل الغربي، أما ولاية البهنسا فهي تلي ولاية الجيزة من الجنوب، وتليها ولاية الأشمونيين بالبر الغربي للنيل. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٧٨-٣٩٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٩٦.

١٢٨. العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ج١، ص١٧٣. ابن ميسر، المنتقى، ص٩٤.

١٢٩. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢١٧.

١٣٠. العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ج١، ص١٨٣.

١٣١. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٩٦-١٩٧.

زويلة أحد أبواب مدينة القاهرة وأحرق بعد ذلك[١٣٢].

وتشير بعض المصادر إلى محاولة أخرى من تدبير سيدات القصر للتآمر على اغتيال الوزير طلائع بن رزيك، بسبب تعاظم نفوذه، ومضايقته لهن؛ وثقل وطأته على الخليفة[١٣٣]، وسعيه إلى مصاهرة الخليفة العاضد وعقد قرانه على ابنته، وهي زيجة سياسية، والهدف منها أن ترزق ابنته بولد من الخليفة فيجتمع لابن رزيك الوزارة مع الخلافة[١٣٤].

وحاولت عمة الخليفة العاضد الكبرى تدبير مؤامرة لاغتيال الوزير طلائع، وبذلت في سبيل ذلك ما يقارب الخمسين ألف دينار، غير أن الوزير اكتشف المؤامرة وقبض عليها وقتلها سراً[١٣٥].

وانتقلت كفالة العاضد للعمة الصغرى وهي ست القصور أو سيدة القصور ابنة الإمام الحافظ[١٣٦] كما تلقبها بعض المصادر، وكانت على ما يذكر عمارة اليمني (ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) ذات خلق وكرم[١٣٧]، مهتمة بشؤون الحكم وتتابع الأمور، وسارت على نهج شقيقتها في محاولة التخلص من الوزير، ودبرت مؤامرة لاغتياله سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م[١٣٨] ونجح الغلمان السود الذين دبرت معهم مؤامرة الاغتيال في جرحه، ثم وفاته[١٣٩]. وأمام بروز شخصية شاور لم يكن أمام سيدة القصور إلا محاولة إيقاع الفتنة بينه وبين مجد الإسلام أبو شجاع رزيك ابن الصالح الذي تولى الوزارة عقب مقتل والده[١٤٠]. وإثر انتصار شاور، ومقتل رزيك بن الصالح، قاده الخليفة

١٣٢. ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٣٩٦. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٢٠-٢٢١.

١٣٣. العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ج١، ص١٧٤. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٤٤، ٢٤٦. وحول طلائع بن زريك ودوره في التاريخ الفاطمي. انظر: الخرابشة، سليمان، أسرة بني زريك ودورهم في تاريخ الدولة الفاطمية (٥٤٩-٥٥٨هـ/١١٥٤-١١٦٣م)، منشورات عمادة البحث العلمي، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٣م، ص٣٣. وسيشار إليه فيما بعد: الخرابشة، أسرة بني زريك.

١٣٤. عمارة اليمني، نجم الدين أبي محمد بن الحسن الحكمي (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م) النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية، تصحيح: هرتويغ درنبرغ، مكتبة مدبولي، ط٢، القاهرة، ١٩٩١م. وسيشار إليه فيما بعد: عمارة اليمني، النكت العصرية. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٤٦. والخليفة العاضد لدين ا أبو محمد عبد ا بن الأمير يوسف بن الحافظ لدين ا ، ولد سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م، وبويع بالخلافة سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م. وعمره تسع سنوات وستة أشهر. انظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٤٣. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٣٤-٣٣٨.

١٣٥. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٢٦٩-٢٧٠.

١٣٦. عمارة اليمني، النكت العصرية، ص٣٤. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٤٤٦. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣١٤. وعمارة اليمني وفد إلى مصر بمهمة من قبل أمير مكة سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م، فرحب به الخليفة الفائز ووزيره طلائع بن زريك، وأصبح من المناصرين للمذهب الإسماعيلي، وهو بالأصل سني شافعي المذهب، واستقر في مصر ومدح الخلفاء في كثير من القصائد. انظر: عمارة اليمني، النكت العصرية، ص٤ وما بعدها. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٢٦.

١٣٧. عمارة اليمني، النكت العصرية، ص٣٤، ٣٧.

١٣٨. العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ج١، ص١٧٤. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٤٦.

١٣٩. ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢٧٤. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٤٦-٢٤٨.

١٤٠. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٥٣.

العاضد الوزارة سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م[١٤١].

واتسم سلوك الوزير شاور بالظلم، والجشع وسفك الدماء؛ مما أثار حنق العامة والخاصة[١٤٢]. فما كان من الخليفة العاضد إلا خلعه، وإسناد الوزارة إلى ضرغام، ولقبه بالملك المنصور؛ ودب الصراع بين الوزيرين، ولجأ كلٌ منهما إلى الاستعانة بطرف خارجي، فلجأ شاور إلى نور الدين محمود زنكي حاكم دمشق، في حين لجأ ضرغام إلى الاستعانة بالفرنج، ثم تطورت الأحداث إثر ذلك وانتهت بوضع نهاية للدولة الفاطمية على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب، وخلع العاضد آخر الخلفاء الفاطميين سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م[١٤٣].

ومن مظاهر الدور الذي نهضت به السيدات الفاطميات في أواخر العصر الفاطمي، ما قامت به السيدة أخت نزار، عندما قام الوزير الأفضل بن بدر الجمالي إثر وفاة المستنصر، بإبعاد نزار الوريث الشرعي، الذي بايع بالخلافة شقيقه الأصغر أحمد بن المستنصر ولقبه المستعلي[١٤٤] محتجاً بأن والده استثناه من الأمر وأوصى لشقيقه الأصغر، وعزز ادعاءه هذا بشهادة السيدة أخت نزار في صحة إمامة المستعلي[١٤٥].

ويمكن تفسير هذه الخطوة التي خطاها الوزير الأفضل بمبايعة المستعلي بأنها تعود إلى كرهه لنزار وتوجسه خيفة منه إذا ما تولى الخلافة[١٤٦]، ورأى أن من مصلحته تولية الشقيق الأصغر المستعلي، وهو في الوقت نفسه زوج شقيقته ليسهل عليه التحكم بأمور الدولة، بالرغم من أن كثيراً من الروايات التي تضمنتها الوثائق الفاطمية التي نشرها الشيال تشير إلى أن فكرة استبعاد نزار كانت فكرة الخليفة المستنصر با [١٤٧].

ويفسر هذا الموقف من قبل السيدة أخت المستعلي وشهادتها لصالح المستعلي لكونه شقيقها من والدتها، بعكس نزار الأخ غير الشقيق للمستعلي، ويظهر دورها بوضوح في دعم خلافة المستعلي في وجه القائلين بأحقية نزار بالإمامة، إثر الانقسام بين الشيعة الإسماعيلية إلى: نزارية ومستعلية[١٤٨]، والمراسلات المتبادلة بينها وبين الملكة الحرة ملكة اليمن التي تؤكد فيها أحقية

---

١٤١. العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ج١، ص١٧٢-١٧٥. عمارة اليمني، النكت العصرية، ج١، ص٦٦. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٥٧-٢٧٨.

١٤٢. عمارة اليمني، النكت العصرية، ص٦٦-٦٩، ٢١٦. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٥٩- ٢٦١.

١٤٣. لمزيد من التفاصيل: انظر عمارة اليمني، النكت العصرية، ص٧٣-٧٤. ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ص٧٨-٨٨، ٣٩٠-٣٩٦. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٥٩-٢٩٦.

١٤٤. الصنهاجي، ملوك بني عبيد، ص٧٢-٧٣. ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص٦٠. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١١. المواعظ والاعتبار، ج١، ص٤٤. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٩٤. الشيال، الوثائق الفاطمية، ص٥٧-٦٠.

١٤٥. ابن ميسر، المنتقى، ص٩٨، ١٠٠. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٨٤-٨٦. الشيال، الوثائق الفاطمية، ص٤٨.

١٤٦. الشيال، الوثائق الفاطمية، ص٤٩.

١٤٧. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٨٤. الشيال، الوثائق الفاطمية، ص٥٣ وما بعدها. ماجد، نظم الفاطميين، ص٥٨.

١٤٨. ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص٣٩-٤٠. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١١-١٢. الشيال، الوثائق الفاطمية، ص٤٧.

المستعلي بالخلافة[١٤٩]، التي يتضح فيها قوة شخصيتها، ولها توقيع مشابه لتوقيع السيدة رصد[١٥٠].

ومن بين زوجات الخلفاء اللواتي أشارت إليهن المصادر زوجة الخليفة الآمر التي لقّبت بالعالية، وهي بدوية من الصعيد تزوجها الخليفة، ويبدو أنها كانت مغرمة بابن عم لها ومشدودة بالحنين إلى البادية، لدرجة أن الخليفة حاول استرضاءها ببناء متنزه لها عرف بالهودج، ليعوضها عن حنينها إلى البادية[١٥١].

ج) الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسيدات القصور:

١- ظاهرة الزواج السياسي في العصر الفاطمي:

لم تشر المصادر التي أمكن الاطلاع عليها لأي زيجة تمت بين خلفاء البيت الفاطمي ورجال الدولة من وزراء وقادة وغيرهم في الدور الفاطمي الأول، في حين تحفل بإشارات إلى الزيجات ذات الطابع السياسي في فترة ضعف الخلافة الفاطمية، وتسلط الوزراء، إذ حاول بعض الوزراء تثبيت علاقته بالبيت الفاطمي من خلال المصاهرات وتزويج بناتهم أو شقيقاتهم من الخلفاء الفاطميين، ومن هذه الزيجات زواج ابن الخليفة المستنصر با من ست الملك ابنة أمير الجيوش بدر الجمالي وشقيقة الوزير الأفضل، غير أن المستنصر توفي قبل أن يبني بها[١٥٢]، ولجأ الأفضل بن بدر الجمالي بعد ذلك إلى تزويجها من المستعلي[١٥٣] ولد المستنصر، الذي كان من أهم دوافع الوزير لنقل الخلافة إليه واستبعاد الشقيق الأكبر نزار الوريث الشرعي للخلافة على ضوء ما هو متعارف عليه في المذهب الإسماعيلي الذي يتمذهب به الخلفاء الفاطميين، ومحاولة الوزير طلائع بن رزيك إجبار الخليفة العاضد على الزواج من ابنته، وممارسة الضغوط عليه وحبسه حتى استجاب إلى ذلك[١٥٤]، وفي سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م عقد العاضد على ابنة الصالح بن رزيك، وجهزها بجهاز لم يسمع بمثلـه، وقصد الصالح بهذا الزواج –على ما يذكـر المقريـزي- أن يرزق منها بولد وتجتمع لبني رزيك الخلافة والملك[١٥٥].

---

١٤٩. الشيال، الوثائق الفاطمية. انظر: سجل رقم ٢٨ و٩٦. ص٤٨.

١٥٠. نص التوقيع من السيدة أخت الإمام. السجلات المستنصرية، سجل رقم ٢٨، ص٩٦.

١٥١. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٣٧٧. عنان، محمد عبد ا ، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٩م، ص٢٥٧-٢٥٩. وسيشار إليه فيما بعد: عنان، مصر الإسلامية.

١٥٢. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٨.

١٥٣. ابن الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، ص٥٥-٥٦، ٦٠. ابن ميسر، أخبار مصر، ص١٠٢. الصنهاجي، ملوك بني عبيد، ص٧٢-٧٣. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٤٤٠. اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١١. الشيال، الوثائق الفاطمية، ص٥٦. ماجد، الإمام المستنصر با ، ص١٩٨.

١٥٤. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٤٦.

١٥٥. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٤٤، ٢٤٦.

ويأتي ضمن هذا الإطار مصاهرة الوزير الأفضل بن بدر الجمالي للخليفة الآمر، وتزويج الخليفة من ابنته[١٥٦]، لأنه ربما استولدها الخليفة ولداً فيكون ابنها الخليفة من بعده، ويكون ابن بنت الوزير فتبقى الوزارة في بيته بالمصاهرة[١٥٧] واشتمل الصداق على مائة ألف دينار، ومائة خلعة بخمسمائة دينار، ومائة جارية، وأقطعها ناحيتي بطمندي وأشنين[١٥٨].

ونجد نظيراً لهذه الزيجات السياسية بين الخلفاء العباسيين في بغداد المعاصرين للفاطميين، والقوى المتغلبة عليهم من بويهيين وسلاجقة، فسعى الأمير عضد الدولة البويهي (٣٦٧-٣٧٢هـ/٩٧٨-٩٨٣م) إلى تزويج ابنته للخليفة العباسي الطائع (٣٦٣-٣٨١هـ/٩٧٤-٩٩١م) . وكان يرمي من وراء هذا الزواج تمتين العلاقة بين أمراء بني بوية والخلفاء العباسيين، أما هدفه الأبعد فهو أن يثمر هذا الزواج عن ولي للعهد يجمع بين الخلافة والملك، وتم الزواج فعلاً سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م، وزفّت ابنته إلى الخليفة الطائع، وحمل معها من المال والثياب والأواني والفرش الكثير[١٥٩]. وتكرر الأمر مع انتقال السلطة للسلاجقة، وحصلت كثير من المصاهرات، ففي سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م حملت أرسلان خاتون ابنة داود شقيقة السلطان طغرلبك إلى دار الخليفة القائم بأمر ا [١٦٠] (٤٢١-٤٧٦هـ/١٠٣٠-١٠٧٤م)، وزواج الخليفة المقتدي بأمر ا (٤٦٧-٤٨٧هـ/١٠٧٤-١٠٩٤م) من ابنه السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان[١٦١] (٤٦٥-٤٨٥هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م)، وكان السلطان السجلوقي يتطلع من وراء هذا الزواج إلى ما كان يتطلع إليه الوزير بدر الجمالي من تزويج ابنته للخليفة المستعلي، وهو التطلع إلى نقل الخلافة إلى حفيده وبذلك يجمع السلاجقة يبن أيديهم الخلافة والسلطنة، ومارس ملكشاه ضغطاً كبيراً على الخليفة المقتدي لنقل ولاية العهد إلى ولده جعفر حفيد السلطان بدلاً من الابن الأكبر[١٦٢] لولا أن تدخلت العناية الإلهية،

١٥٦. ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص٢١. ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص٣٤. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٨٤١. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٤٦.

١٥٧. ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص٦. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٤٦.

١٥٨. ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص٦. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٨٤. وبطمندي واشنين، وهما مدينتان، تقع اشنين في كفر النبتون من أعمال المنوفيه بالوجه البحري، وبطمندي، يرد ذكرها طنبده لدى ابن مماتي، وتعرفان كما يقول المقريزي، بالعروسين. ابن مماتي، أسعد الوزير الأيوبي (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، كتاب قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، المطبعة المصرية، ١٩٤٣هـ، ص٩٥. وسيشار إليه لاحقاً: ابن مماتي، قوانين الدواوين.

١٥٩. الصابي، هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، رسوم دار الخلافة، تحقيق: مخائيل عواد، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦م، ص١٣٠. وسيشار إليه فيما بعد: الصابي، رسوم دار الخلافة. سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي (ت ٦٥٤هـ/١٢٠٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (٣٤٥-٤٤٧هـ) تحقيق: جنان جليل، الدار الوطنية، ط١، بغداد، ١٩٩٠م، ص٢٠٣. ابن الجوزي، المنتظم في أخبار الملوك الأمم، ج١٤، ص٢٥٤. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٩٥.

١٦٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٣٩٥. البنداري، الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني (ت القرن السابع هـ)، تاريخ دولة آل سلجوق، لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ت)، ص١٣. وسيشار إليه لاحقاً: البنداري، تاريخ آل سلجوق. ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٧.

١٦١. البنداري، تاريخ آل سلجوق، ص٧٢-٧٣. ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٢٠.

١٦٢. الراوندي، محمد بن علي بن سليمان (ت ٥٩٩هـ/١٦٠٢م) راحة الصدور وآية السرور، ترجمة: إبراهيم الشواربي،

وأنقذت الخليفة من هذا المأزق بموت السلطان ملكشاه سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٢م[١٦٣].

ومن الزيجات الأخرى زواج الخليفة المستظهر با أبو العباس أحمد (٤٨٧-٥١٢هـ/١٠٩٤-١١١٨م) من ابنة السلطان ملكشاه شقيقة زوجة أبيه المقتدي سنة ٥٠٤هـ/ ١١١٠م[١٦٤]. وزواج الخليفة المسترشد با (٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٤م) من ابنة السلطان سنجر بن ملكشاه (٥١١-٥٥٢هـ/١١١٧-١١٥٧م)[١٦٥]، وزواج الخليفة المقتفي لأمر ا (٥٣٠-٥٥٥هـ/١١١٥-١١٦٠م) من شقيقة السلطان مسعود بن ملكشاه[١٦٦].

ولم تسجل لنا المصادر التي بين أيدينا أياً من حالات الزواج من نساء فاطميات خارج إطار البيت الفاطمي، حتى في حالات ضعف الأسرة الفاطمية وتحكم الوزراء وقادة الجيش بالخلفاء بعكس ما حصل مع البيت العباسي بعد انتقال السلطة الزمنية للسلاجقة، وتجرأ السلطان طغرلبك بطلب كريمة الخليفة القائم بأمر ا سنة ٤٥١هـ/١٠٥١م لدعم سلطانه السياسي بسلطان معنوي، متخطياً بعمله هذا تقاليد البيت العباسي، إذ لم يسبق لأمير أعجمي أن تجرأ على طلب الزواج من أميرة عباسية، وعلى الرغم من ممانعة الخليفة إلا أنه استجاب للضغوط ووافق على هذا الزواج مرغماً[١٦٧]. غير أنه لم يكتب لهذا الزواج أن يتم، فقد توفي السلطان طغرلبك وهو في سن السبعين قبل بنائه بابنة الخليفة، فأعادها السلطان ألب أرسلان إلى بغداد معززة مكرمة[١٦٨].

وقد أشار أحد المصادر المعاصرة إلى الغاية التي ابتغاها طغرلبك من وراء هذا الزواج وهو التبجح والتفاخر بين أبناء جنسه[١٦٩]. وربط أطناب خيمة السلطنة بهذه الوسيلة بأوتاد الثبات

عبد النعيم حسنين، فؤاد الصياد، مطبعة دار القلم، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٢١٦. وسيشار إليه لاحقاً: الراوندي، راحة الصدور. ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٦٢. ابن العبري، غريغورس أبو الفرج بن اهرون (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م، ص١٤. وسيشار إليه لاحقاً: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول.

١٦٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٦٢. ابن الطقطقى، فخر الدين محمد بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م). الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م، ص٢٩٦. وسيشار إليه لاحقاً: ابن الطقطقى، الفخري في الآداب السلطانية.

١٦٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٥٩-١٦٥-١٦٦. الحسيني، صدر الدين أبو الحسن (ت القرن السابع هـ - ١٣م)، أخبار الدولة السلجوقية، تحقيق: محمد إقبال، لاهور، ١٩٣٣م، ص٨١-٨٢. وسيشار إليه فيما بعد: الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية.

١٦٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٢٥٠. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٩٥.

١٦٦. ابن قاضي شهبة، بدر الدين أبو الفضل الشافعي (ت ٧٩٨هـ/١٣٩٤م)، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق: محمد أبو زايد، بيروت، ١٩٧١م، ص١٠٧. وسيشار إليه فيما بعد: ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية.

١٦٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢١٨-٢٢٤. ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٠-٢٢. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٢٠.

١٦٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٢٣١. ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦.

١٦٩. ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م)، الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، ليدن، ١٩٧٣م، ص١٩٨. وسيشار له لاحقاً: ابن العمراني، الأنباء.

والخلود، وانسدت بهذا الزواج الطريق في وجه معارضي طغرلبك ومنافسية في السلطنة[١٧٠].

٢- ألقاب وكنى النساء الفاطميات:

تلقبت سيدات القصور الفاطميات بألقاب متعددة من بينها الجهة العالية[١٧١]، والجهات المعظمة[١٧٢]، وهو لقب يطلق على زوجة الإمام أو الخليفة الفاطمي[١٧٣].

ومن الألقاب الأخرى لقب السيدة وهو لقب عام أطلق على نساء الخاصة، وإن كان أكثر ارتباطاً بالأميرات الفاطميات سواء كن أمهات أو زوجات أو شقيقات الخلفاء، وحظيت السيدة ست الملك[١٧٤] بألقاب أخرى، مثل: لقب سلطانه[١٧٥]، وست الكل[١٧٦]، بينما لقبت أم الخليفة المستنصر بألقاب متعددة، منها: السيدة[١٧٧]، والملكة[١٧٨]، وكان ولدها الخليفة يخاطبها بلقب مولاتنا الوالدة[١٧٩] إلى جانب لقب الجليلة والستر[١٨٠]. غير أن جلّ الإشارات إليهن ترد مقترنة بأسماء أزواجهن من الخلفاء، مثل: السيدة العزيزية، والسيدة المعزية، وعلم الآمرية مما يفوت على الباحث معرفة أصولهن، أو أية تفاصيل تاريخية تُكمل الصورة، ولكن من الواضح أنهن لم يكن جميعاً من أصول فاطمية، وإنما امتلك الخلفاء الفاطميون الجواري، وأنجبوا منهن، وبخاصة أن القصور الفاطمية كانت تضم أعداداً كبيرة من الجواري[١٨١] فتركت ست مصر ابنة الحاكم في قصرها عند موتها ثمانية آلاف جارية[١٨٢]، وانتشرت عادة التسري، فمن بين الخلفاء الفاطميين من كانت أمهاتهم من الجواري (أمهات أولاد)، الخليفة الظاهر، أمه أُم ولد، تُدعى رقية[١٨٣]. والخليفة المستنصر أمه جارية سودانية تحظاها الخليفة الظاهر[١٨٤]، وفي سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م تزوج الحاكم جارية السيدة زوجته[١٨٥].

---

١٧٠. اليزدي، محمد بن محمد بن النظام الحسيني (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٢م)، العراضة في الحكاية السلجوقية. ترجمة وتعليق: عبد النعيم حسنين وحسين أمين، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٩م، ص٤٧. وسيشار إليه فيما بعد: اليزدي، العراضة.
١٧١. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٢٧.
١٧٢. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٢٧.
١٧٣. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٢٧.
١٧٤. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٢٥.
١٧٥. المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٤.
١٧٦. المصدر نفسه، ج٢، ص١١٥.
١٧٧. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٤٥.
١٧٨. ماجد، السجلات المستنصرية، سجل رقم ٥١، ص١٦٩-١٧٠.
١٧٩. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٠٦.
١٨٠. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٤١٠.
١٨١. ناصر خسرو، سفرنامه، ص٨٩.
١٨٢. الزبير بن بكار، الذخائر والتحف، ص٢٤١. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٠٣. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٣، ص١٤٧.
١٨٣. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٢٤.
١٨٤. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٨٤-١٨٥.
١٨٥. الدواداري، كنز الدرر، ج٦، ص٢٦٥.

واختصت النساء من أصول فاطمية بألقاب لم تطلق على غيرهن، مثل لقب الشريفة[١٨٦] الذي تلقبت به أمهات الخلفاء وشقيقاتهم وبناتهم ممن ينتمين إلى البيت الفاطمي ومن الألقاب الأخرى السيدة الطاهرة الشريفة، الملكة الكريمة الرؤوفة الرحيمة[١٨٧] الذي لقبت به ابنة الخليفة الظاهر، ولقب المحروسة الذي لقبت به السيدة علم الآمرية[١٨٨].

٣- المنشآت العمرانية للنساء الفاطميات:

ينسب للنساء الفاطميات عدد من المنشآت العمرانية من بينها منازل العز الذي أنشأتها السيدة تغريد زوجة الخليفة المعز ووالدة الخليفة العزيز با ، التي توفيت سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م. أي قبل وفاة ولدها العزيز بسنة واحدة، وكانت هذه المنازل من أحسن متنزهات مصر بإطلالتها
على نهر النيل[١٨٩].

وأنشأت السيدة تغريد أيضاً جامع القرافة سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م[١٩٠] وهو ثاني جامع تم إنشاؤه من قِبل الفاطميين في مصر بعد الجامع الأزهر وبني على هيئته[١٩١]، وأشرف على بنائه الحسن بن عبد العزيز الفارسي المحتسب[١٩٢]، وجدد عمارته الخليفة الحاكم بأمر ا سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م[١٩٣]. وتعرض هذا الجامع[١٩٤] للخراب إثر الحريق الذي شب في مدينة الفسطاط سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م وأنشأت السيدة علم الآمرية زوجة الخليفة الآمر عدداً من المساجد من بينها مسجد السيدة رقية سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م، ومسجد النارنج الذي بني سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م[١٩٥].

وقد أتاح الثراء الذي تمتعت به سيدات القصور المجال أمامهن للمساهمة في الحياة الاجتماعية في المجتمع المصري في العصر الفاطمي، والمساهمة في بناء المساجد والمنشآت العمرانية الأخرى، ولدينا بعض الأمثلة التي تلقى الضوء على هذا الثراء؛ فقد أورد صاحب كتاب "الذخائر

---

١٨٦. ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص٥٠.

١٨٧. ماجد، السجلات المستنصرية، سجل رقم ٥٢، ص٢٠٢-٢٠٤.

١٨٨. عبد الكريم، المرأة في مصر في العصر الفاطمي، ص٥٣.

١٨٩. وهي مطلة على نهر النيل ومعدة لتنزه الخلفاء الفاطميين. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٦٦، ٣٧٦. وحولها صلاح الدين الأيوبي إلى مدرسة للشافعية. بدوي، التاريخ السياسي والفكري، ص٢٣٠.

١٩٠. ويعرف بجامع الأولياء، وهو بالقرافة الكبرى بنته السيدة المعزية أم العزيز با نزار. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٣١٨-٣٢٠. ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص٦٣.

١٩١. ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص٦٣.

١٩٢. لم نعثر له على ترجمة في المصادر الأولية، ويتضح أنه تولى وظيفة الحسبة في خلافة المعز لدين ا ، وتولى الإشراف على بناء المسجد. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٠، ٢١١.

١٩٣. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٣٧٩.

١٩٤. المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢٦.

١٩٥. وهي رقية ابنة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٦٥٢. ويقع مسجد النارنج بجانب القرافة الكبرى ومطل على بركة الجيش، وسمي مسجد النارنج بهذا الاسم لأن نارنجه (برتقاله) لا ينقطع أبداً. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٤٤٦.

والتحف" معلومات مهمة عن حجم الثروة التي كانت تمتلكها الشقيقتان (عبدة وراشدة) ابنتا الخليفة المعز فعندما توفيت عبدة سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م وجد في حوزتها ما لا يحصى من كثرته من خزائن الحلي والجواهر والأقمشة، وبلغ الشمع الذي ختم به على خزائن ثروتها أربعين رطلاً(١٩٦) وكتبت بطائق المتاع الذي أحصيت فيه ثروتها في ثلاثين رزمة من الورق(١٩٧).

وأما شقيقتها راشدة؛ فتركت عند وفاتها مالاً قيمته ألف ألف وسبعمائة ألف دينار، ومن الكسوة في خزائنها ثلاثون ألف ثوب خز، واثنا عشر ألف من الثياب المصمته، ناهيك عما وجد من الجواهر والحلي(١٩٨).

وتركت السيدة ست مصر ابنة الحاكم بأمر ا عند وفاتها ثروات طائلة منها ثمانية آلاف جارية، وكانت غلة إقطاعها في كل سنة خمسون ألف دينار(١٩٩)، وامتلكت السيدة رصد أم المستنصر ثروات طائلة وورثت بعد وفاة زوجها الخليفة الظاهر خزائن مثل خزائن الخلفاء(٢٠٠)، وحظيت ست الملك بإقطاع كبير من عبرة(٢٠١) سنة ٣٨٩هـ/٩٨٩م الخراجية بقيمة مائة ألف دينار، ومن ضياع في الصعيد، وضياع في أسفل الأرض ثمانية وستون ألف وأربعمائة وخمسون ديناراً، ومنها بمنطقة بوتيج(٢٠٢) ستة آلاف وسبعمائة وخمسون ديناراً، وصهرجت(٢٠٣) سبعة عشر ألف دينار، ودمنهور(٢٠٤) خمسة آلاف دينار، والباقي من ذلك واحد وثلاثون ألف دينار، وخمسمائة وخمسون ديناراً من دور وبساتين(٢٠٥).

الخاتمة:

تحدثت المصادر التاريخية بشيء من الإسهاب عن الدور الذي نهضت به ست الملك شقيقة الخليفة الحاكم بأمر ا والسيدة رصد أم الخليفة المستنصر با ، في حين لم تحض السيدات

---

١٩٦. الرشيد بن الزبير، الذخائر والتحف، ص٢٤٠-٢٤٢. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٤١٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٩٣.

١٩٧. الرشيد بن الزبير، الذخائر والتحف، ص٢٤٢.

١٩٨. الرشيد بن الزبير، الذخائر والتحف، ص٢٤١-٢٤٢. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢١٥.

١٩٩. الرشيد بن الزبير، الذخائر والتحف، ص٢٤٠-٢٤١.

٢٠٠. ماجد، الإمام المستنصر با ، ص١٧٠. وانظر: نموذج على ثراء الخلفاء الفاطميين ومحتويات قصورهم بعد أن نهبت الجند قصور الخلافة زمن الشدة العظمى، الذي أسهب المقريزي في الحديث عن حجم الثروات المنهوبة. اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٢٨٠-٢٩٦. ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص٦٤.

٢٠١. العبرة مصطلح يقصد به المقدار المربوط من الخراج أو الأموال على كل إقطاع من الأراضي، وما يتحصل من كل قرية من عين وغلة. ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص١٠ (الحاشية).

٢٠٢. من أعمال أسيوط، وهي الآن أبوتيج. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٣٣.

٢٠٣. وهما اثنتان: صهرجت الكبرى، وصهرجت الصغرى الأولى بمركز ميت غمر على الشاطئ الشرقي لنهر النيل، والثانية بمركز منية سمنود في الجنوب الشرقي لناحية بشلا. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٣٣.

٢٠٤. وهي بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد في طريق مصر. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٥٣٦.

٢٠٥. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٣٣.

الفاطميات الأخريات إلا بإشارات نادرة ومقتضبة، وهذا ينبئ عن الدور الذي نهضت به كل منهما في عصرها، فست الملك نجحت بحنكتها في تجنيب الدولة كثير من المخاطر التي يمكن أن تترتب على السياسات المتناقضة التي انتهجها الخليفة الحاكم، وبالرغم من الاتهامات التي وجهت إليها بأنها كانت وراء مؤامرة اغتيال الحاكم، إلا أنها تمكنت بحنكتها بعد اختفائه من تثبيت أركان الدولة والتمهيد لحكم ولده وخليفته الظاهر، بحيث وصفت بالحكمة وسداد الرأي من قبل جلّ المؤرخين الذين تصدوا للحديث عنها.

وتمثل السيدة أم المستنصر الوجه الآخر من تدخل النساء في شؤون الحكم، إذ ترتب على سياستها الخرقاء التي تمثلت بالتدخل في مؤسسة الوزارة، وإثارة الفتن بين طوائف الجند التي أدخلت البلاد في حالة من الفوضى والتدهور الاقتصادي تركت آثارها السلبية ليس فقط على خلافة ابنها المستنصر، بل كانت عاملاً من عوامل انهيار الدولة الفاطمية لاحقاً.

وألقى ضعف الخلافة، وتحكم قادة الجيش بالوزارة ومقدرات الدولة بظلاله على دور المرأة الفاطمية في العصر الفاطمي الثاني، واقتصر دورها على تدبير الدسائس والمؤامرات للتخلص من الوزراء؛ بهدف حماية الخلفاء واستعادة السلطة إليهم بكل الوسائل.

وفيما يتعلق بظاهرة الزواج السياسي خلصت الدراسة إلى أن المتغلبين من الوزراء سعوا من وراء مصاهراتهم مع الخلفاء الفاطميين إلى الاستحواذ على الخلافة إلى جانب الوزارة، وهو ما انتهت إليه كلا الخلافتين الفاطمية في مصر، والخلافة العباسية في العراق في علاقة كل منهما مع المتغلبين عليها، غير أن ما يميز الخلافة الفاطمية عن نظيرتها العباسية أن الملوك والمتغلبين لم يجرؤوا على محاولة الاقتران بأميرة فاطمية، على عكس ما وصلت إليه حالة الخلافة العباسية مع سلاطين السلاجقة.

وبالرغم من بروز دور المرأة الفاطمية في الجانب السياسي اقتصر على فترات القلق والضعف، نجد بالمقابل دوراً نشطاً لها في المجال الاجتماعي، تمثل في إنشاء المساجد والمآثر العمرانية الأخرى.

Ladies of the Palaces And Their Role In Public Life of Egypt During Fatimid Period (360-567 A.H./972-1171 A.D.)

Nahla AbdulBaqi*, Alayan al-Jaludi **

ABSTRACT

It has been observed by scholars that Fatimid ladies of the palace had assumed a high-status in Egyptian society during the Fatimid era, and a few ladies among them had played part in political and public life, and they had influenced on the evaluation of the palace course of events of the Fatimid state. So that, the present study is devoted to clarify role of those ladies, taking into consideration, mainly, the participation of two prominent ladies of the palace and their impact on Fatimid state. The first was called *Sitt Almulk*, the caliph *Al-Hakim bi Amr al-Lāh's* sister, and the second one was called *Rasad*, the caliph *al-Mustansir Billah's* mother. The study revealed that ladies of the Palace had played an obvious role in Fatimid state via its periods of unrest, weakness, and political chaos. It, also demonstrated that the role of some ladies, such as *Sitt Amulk*, contributed positively in protecting the state from the dangers surrounding it. In contrast, the study showed that few ladies of the Palace played a negative role in the Fatimid state, such as *Rasad*, whose interference was a factor in weaking, failure, and accelerating the collapse of the Fatimid state later.

KEYWORDS: Fatimid Era, Ladies of the palace, sitt Almulk, Rāsād, Al-Hakim bi Amr al-Lāh's, al-Mustansir Billah's.

* Nile University, Sudan
** Al al-Bayt University, Jordan.
Received on 21/3/2012 and accepted for publication on 26/5/2013.